فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كنار الطريق

مصر ٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٠ هق - ٢٧ الربيع الثاني ١٢٩١ هش ١٧ مايو ١٩١٢م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٢٢ : ١٢٢) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ . مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣ : ١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤ : ١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥ : ١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا

روى غير واحد عن مجاهد انه قال قالت العرب : لا نبعث ولا نحاسب . وقالت اليهود والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى ، وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات فانزل الله « ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به »

وعن مسروق قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون : نحن اهدى منكم وقال أهل الكتاب : نحن اهدى منكم فأنزل الله هذه الآية

وعن قتادة قال ذكر لنا ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله ، فأنزل الله « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب — الى قوله — ومن احسن دينا » الآية فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان

وعن السدي : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقالت اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم ، فنحن خير منكم - نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ، ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا ، فرد الله عليهم قولهم فقال « ليس بأمانيكم » الخ .

وعن الضحاك وابي صالح نحو ذلك بل روى ابن جرير نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكروا أن الآيات الثلاث نزلت في ذلك .

الاستاذ الامام : يقال في سبب النزول انه اجتمع نفر من المسلمين واليهود والنصارى وتكلم كل في تفضيل دينه فنزل قوله تعالى ﴿ ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب ﴾ الآية والمعنى بناء على ذلك : ليس شرف الدين وفضله ولا نجاة أهله به أن يقول القائل منهم : ان ديني أفضل وأكمل ، وأحق وأثبت ، وانما عليه

اذا كان موقنا به أن يعمل بما يهديه اليه فان الجزاء انما يكون على العمل لا على التمني والغرور ، فلا أمر نجاتكم أيها المسلمون منوطا بأمانيكم في دينكم ، ولا أمر نجاة أهل الكتاب منوطا بأمانيهم في دينهم ، فان الاديان ما شرعت للتفاخر والتباهي ، ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء اليها والتمدح بها بلوك الالسنة والتشدق في الكلام ، بل شرعت للعمل (قال) والآية مرتبطة بما قبلها سواء صح ما روي في سبب نزولها ام لم يصح لأن قوله تعالى « يعدهم ويمنيهم » في الآيات التي قبلها يدخل فيه الاماني التي كان يتمناها أهل الكتاب غرورا بدينهم اذ كانوا يرون انهم شعب الله الخاص ويقولون انهم ابناء الله واحباؤه وانه لن تمسهم النار الا اياما معدودة ، وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، وغير ذلك مما يقولون ويدعون ، وانما سرى هذا الغرور الى أهل الاديان من اتكالهم على الشفاعات ، وزعمهم ان فضلهم على غيرهم من البشر بمن بعث فيهم من الانبياء الذاتهم ، فهم بكراماتهم يدخلون الجنة وينجون من العذاب ، لا باعمالهم ، فحذرنا الله ان نكون مثلهم ، وكانت هذه الاماني قد دبت الى المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى في سورة الحديد « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل » الآية فهذا خطاب للذين كانوا ضعفاء الايمان من المسلمين في العصر الاول ولأمثالهم في كل زمان والله عليم بما كانوا عليه حين أنزل هذه الموعظة وبما آل وما يؤول اليه امرهم بعد ذلك ، ولو تدبروا قوله لما كان لأمثال هذه الاماني عليهم من سلطان فقد بين لهم طرق الغرور ومداخل الشيطان فيها . وقد روي حديث عن الحسن « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » وقال الحسن : ان قوما غرتهم المغفرة فخرجوا من الدنيا وهم مملوءون بالذنوب ولو صدقوا لأحسنوا العمل .

ثم ذكر الاستاذ الامام بعد هذا حال مسلمي هذا العصر في غرورهم واماينهم ومدح دينهم وتركهم العمل به وبين أصنافهم في ذلك . ومما قاله : ان كثيرا من الناس يقولون تبعا لمن قبلهم في أزمنة مضت : ان الاسلام افضل الاديان ، اي

دين أصلح إصلاحه ؟ اي دين ارشد ارشاده ؟ اي شرع كشرعه في كماله ؟ ولو سئل الواحد منهم : ماذا فعل الاسلام ؟ وبماذا يمتاز على غيره من الاديان ؟ لا يحير جوابا . واذا عرضت عليه شبهة على الاسلام وسئل كشفها حاص حيصة الحمر وقال : اعوذ بالله ، اعوذ بالله . والضال يبقى على ضلاله ، والطاعن في الدين يتمادى في طعنه ، والمغرور يسترسل في غروره ، فالكلام كثير ولا علم ولا عمل يرفع شأن الاسلام والمسلمين . اه ما قاله الاستاذ الامام بايضاح بعض الجمل واختصار في بيان ضروب الغرور وأصناف المغترين

﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ هذا بيان من الله لحقيقة الامر في المسألة فانه لما نفى ان يكون الأمر منوطا بالأماني والتشهيات وغرور الناس بدينهم كان من يسمع هذا النفي جديرا بان يتشوف الى استبانة الحق والوقوف على حكم الله فيه ، ويجعله موضوع السؤال ، فبينه عز وجل بصيغة العموم ، والمعنى ان كل من يعمل سوءا يلق جزاءه لان الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف في أتباع بعض الانبياء ويتنزل بغيرهم كما يتوهم أصحاب الاماني والظنون ، فعلى الصادق في دينه المخلص لربه أن يحاسب نفسه على العمل بما هداه اليه كتابه ورسوله ويجعله معيار سعادته ـ لا كون ذلك الكتاب اكمل ، وذلك الرسول أفضل ـ فان من كان دينه اكمل تكون الحجة عليه في التقصير أقوى ، وقد روي في التفسير المأثور أن هذه الكلية العامة « من يعمل سوءا يجز به » راعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه وأخافته فسأل النبي (ص) عنها وقال : من ينجو مع هذا يارسول الله ؟ فقال له النبي (ص) « اما تحزن اما تمرض اما يصيبك البلاء ؟ قال : بلى يارسول الله . قال « هو ذاك » واورد السيوطي في الدر المنثور احاديث في الجزاء الدنيوي على الاعمال وجعلها تفسيرا للآية . وبعض ما ورد في ذلك مطلق عام ويؤخذ من بعضه انه خاص بالمؤمنين او كملتهم كأبي بكر ، وهذا هو الذي مال اليه الاستاذ في الدرس . واذا طبقنا المسألة على سنة الله التي لا تبديل لها ولا تحويل علمنا ان مصائب الدنيا تكون جزاء على ما يقصر فيه الناس من السير على سنن الفطرة وطلب الاشياء من أسبابها ، واتقاء المضرات باجتناب عللها ،

« وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » ومن ذلك التقصير ما هو معصية شرعية كشرب الخمر الذي هو علة امراض كثيرة ومنها ما ليس كذلك . ولما كان عمل السوء يدسي النفس ويدنس الروح كان سببا طبيعيا للجزاء في الآخرة كما تكون الخمر سببا للجزاء في الدنيا بتأثيرها في الكبد والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي بل والمجموع العصبي . فهل يكون المرض الناشيء عن شرب الخمر كفارة للجزاء على شربها في الآخرة ويكون ذلك داخلا في معنى كون مصائب الدنيا كفارات للذنوب وان من لم يصب بمرض ولا مصيبة بسبب ذنبه يعاقب عليه في الآخرة ويحرم من مثل هذه الكفارة كما اذا شرب الخمر مرة او مرات لم تؤثر في بدنه تأثيرا شديدا ؟ أم المصائب تكون كفارات للذنوب التي هي مسببة عنها ولغيرها مطلقا ؟ وكيف ينطبق هذا التكفير على سنة الله في الجزاء الأخروي ؟ الحق في المسألة انه لا يشذ شيء عن سنن الله تعالى ، وان المصيبة في الدنيا إنما تكون كفارة في الآخرة اذا أثرت في تزكية النفس تأثيرا صالحا وكانت سببا لقوة الايمان أو ترك السوء والتوبة منه لظهور ضرره في الدين أو الدنيا ، او الرغبة في عمل صالح بما تحدثه من العبرة ، ومن شأن المؤمن المهتدي بكتاب الله تعالى ان يستفيد من المصائب والنوائب فتكون مربية لعقله ونفسه كما بيناه في التفسير وغير التفسير مرارا . ولا يعقل ان تكون كل مصيبة كفارة لذنب او لعدة ذنوب بل ربما كانت المصيبة سببا لمضاعفة الذنوب واستحقاق اشد العذاب ، كالمصائب التي تحمل أهل الجزع ومهانة النفس وضعف الايمان – دع الكفر – على ذنوب لم يكونوا ليقترفوها لولا المصيبة . والكلام في الآية على جزاء الآخرة بالذات كما يدل عليه مقابله في الآية الاخرى

أما قوله تعالى ﴿ ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ فمعناه أن من يعمل السوء ويستحق الجزاء عليه بحسب سنن الله تعالى في تأثير عمل السوء تأثيرا تكون عاقبته شرا منه كما قال في سورة أخرى « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى » لا يجد له وليا غير الله يتولى أمره ، ويدفع الجزاء عنه ، ولا نصيرا ينصره وينقذه مما يحل به ، لا من الانبياء الذين تفاخر ويتفاخر اصحاب الاماني بالانتساب اليهم ،

ولا من غيرهم من المخلوقات التي اتخذها بعض البشر آلهة وارباباً ، لا على معنى انها هي الخالقة بل على معنى شافعة وواسطة، فكل تلك الأماني في الشفعاء كأضغاث الأحلام ، برق خلب وسحاب جهام ، وانما المدار في النجاة على الايمان والأعمال ، كما صرح به فقال ؟

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ اي كل من يعمل ما يستطيع عمله من الصالحات اي الاعمال التي تصلح بها النفوس في اخلاقها وآدابها واحوالها الشخصية والاجتماعية سواء كان ذلك العامل ذكرا أو انثى - خلافا لبعض البشر الذين حقروا شأن الاناث ، فجعلوهن في عداد العجموات لا في عداد الناس - من يعمل ما ذكر من الصالحات وهو متلبس بالايمان مطمئن به فاولئك العاملون المؤمنون بالله واليوم الآخر يدخلون الجنة بزكاء انفسهم وطهارة أرواحهم ، ويكونون مظهر فضل الله تعالى وكرمه ، ومحل احسانه ورضوانه ، ولا يظلمون من أجور اعمالهم شيئا ما اي لا ينقصون شيئا وان كان بقدر النقير - وهو النكتة التي تكون في ظهر النواة وهي ثقبة صغيرة وتسمى نقرة كأنها حصلت بنقر منقار صغير و يضرب بها المثل في القلة - لا ينقصون شيئا بل يزيدهم الله من فضله . ولا يعارض هذه الآية والآيات الكثيرة التي بمعناها حديث « لن يدخل احدكم الجنة عمله » الخ لأن معناه ان الانسان مهما عمل من الصالحات لا يستحق على عمله تلك الجنة العظيمة التي فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الا بفضل الله الذي جعل الجزاء الكبير على عمل قليل . وهو الذي هدى اليه ، وأقدر عليه ، وقد قدم هنا ذكر العمل على ذكر الايمان لأن السياق في خطاب قوم مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله قد قصروا في الاعمال واغتروا بالأماني ظانين ان مجرد الانتساب الى اولئك الرسل والايمان بتلك الكتب هو الذي يجعلهم من اهل جنة الله ، وا كثر الآيات يقدم فيها ذكر الايمان على ذكر العمل لورودها في سياق بيان أصل الدين ، ومحاجة الكافرين ، والايمان في هذا المقام هو الاصل المقدم والعمل

أثره ومدّه ، ومن الحديث في معنى الآية « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمق من أتبع نفسه هواها . وتمنى على الله » قال الحاكم على شرط البخاري وتعقب

هـذا وان في هاتين الآيتين من العبرة والموعظة ما يدكّ صروح الأماني ومعاقل الغرور التي يأوي اليها ويتحصن فيها الكسالى والجهال والفساق من المسلمين الذين جعلوا الدين كالجنسية الساسية وظنوا ان الله العزيز الحكيم يحابي من يسمي نفسه مسلما ويفضله على من يسميها يهوديا أو نصرانيا بمجرد اللقب ، وان العبرة بالاسماء والالقاب لا بالعلم والعمل ، ومتى يرجع هؤلاء الى هدي كتابهم الذي يفخرون به ، و يبنون قصور امانيهم على دعوى اتباعه ؟ وقدنبذوه وراء ظهورهم ، وحرموا الاهتداء به على أنفسهم ، لان بعض المعممين سموا الاهتداء به من الاجتهاد الذي أقفل دونهم بابه ، وانقرض في حكمهم أربابه ، ولا تلازم بين الاهتداء بالقرآن ، والقدرة على استنباط ما تحتاج اليه الأمة من الاحكام ، فقد كان عامة أهل الصدر الاول من هؤلاء المهتدين ، ولم يكونوا كلهم أئمة مستنبطين ، وقد يقدر على الاستنباط ، من لم يكن قائما على هذا الصراط ، فيا أهل القرآن ! لستم على شيء حتى تقيموا القرآن ، وتهتدوا بهديه في الإيمان والأعمال ، وتبذلوا في سبيله الانفس والاموال ، والا فقد رأيتم ما حل بكم بعد ترك هدايته من الخزي والنكال ، وضياع الملك وسوء الحال ، فالى متى هذا الغرور والاهمال ، وحتى مَ تتعللون بالاماني وكواذب الآمال ؟

هذا - ومن أراد زيادة البصيرة في غرور المسلمين بدينهم على تقصيرهم في العمل به وفي نشره والدعوة اليه فليراجع كتاب الغرور في آخر الجزء الثالث من كتاب الاحيا للغزالي ولولا انني الآن حلف أسفار ، لايقرلي في بلد قرار ، لاطلت بعض الاطالة في بيان الغرور والمغترين ، والاماني والمتمنين ، اثارة لكوامن العبرة ، واستدرارا لبواخل العبرة ، وليس عندي في هذه الآية شيء عن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

ولما بين تعالى أن أمر النجاة بل السعادة منوط بالعمل والايمان،ما أتبع ذلك

ببيان درجة الكمال في ذلك وهو الدين القيم فقال ﴿ ومن احسن مما اسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ أي لا أحد أحسن دينا ممن جعل قلبه سلما خالصا لله وحده لا يتوجه الى غيره في دعاء ولا رجاء ، ولا يجعل بينه وبينه حجابا من الوسطاء والحجاب ، بل يكون موحدا صرفا لا يرى في الوجود الا الله وآثار صفاته وسننه في ربط الاسباب بالمسببات ، فلا يطلب شيئا الا من خزائن رحمته ، ولا يأتي بيوت هذه الخزائن الا من أبوابها وهي السنن والاسباب ، ولا يدعو معه ولا من دونه أحدا في تيسير هذه الاسباب ، وتسهيل الطرق وتذليل الصعاب ، وهو مع هذا الايمان الخالص ، والتوحيد الكامل ، محسن في عمله ، متقن لكل ما يأخذ به ، متخلق باخلاق الله الذي احسن كل شيء خلقه ، وأتقن كل شيء صنعه ﴿ واتبع ملة ابراهيم حنيفا ﴾ أي واتبع في دينه ملة إبراهيم حنيفا أي حال كونه حنيفا مثل ابراهيم ، أو حال كون ابراهيم حنيفا ، أي اتبعه في حنيفيته التي كان عليها وهي ميله عن الوثنية وأهلها ، وتبرؤه مما كان عليه ابوه وقومه منها ، « اذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون ، الا الذي فطرني فانه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » أي جعل البراءة من الشرك ونزغاته وتقاليده والاعتصام بالتوحيد الخالص كلمة باقية في عقبه يدعو اليها النبيون والمرسلون منهم

الاستاذ الامام : تقدم في الآيات السابقة وصف الضالين الذين لا يستعملون عقولهم في الدين وآياته وذكر حظ الشيطان منهم وإشغالهم بالاماني الخادعة ، ثم بين ان أمر الآخرة ليس بالاماني وانما هو بالعمل والايمان ، وان العبرة عند الله بالقلوب والاعمال ، والحقيقة واحدة لا تختلف باختلاف الاوقات والاحوال ، ولا تتبدل بتبديل الاجيال والآجال ، ثم زاد هذا بيانا بهذه الآية فبين ان صفوة الاديان التي ينتحلها الناس هي ملة ابراهيم في اخلاص التوحيد وإحسان العمل ، وعبر عن توجه القلب باسلام الوجه لان الوجه أعظم مظهر لما في النفس من الاقبال والاعراض والخشوع والسرور والكآبة وغير ذلك ، وقد يظهر بعض الناس الخضوع أو الاحترام للآخر باشارة اليد ولكن هذا يكون بالتعمل ويعرف بالمواضعة ، وما يظهر في الوجه

هو الفطري الذي يدل على السريرة وهو يتمثل في كل جزء منه كالعينين والجبهة والحاجبين والانف والحركة ، فإسلام الوجه لله هو تركه له بأن يتوجه اليه وحده في طلب حاجاته وإظهار عبوديته ، وهو كمال التوحيد واعلى درجات الايمان ، وأما الاحسان فهو إحسان العمل - خلافاللجلال فيهما اذ عكس - واتباع ملة ابراهيم يراد به فيما يظهر ما أشار اليه في قوله عز وجل « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » فإقامة الدين مرتبة فوق مرتبة التدين المطلق وهي العمل به على وجه الكمال بحيث يقوم بناؤه ويثبت، وعدم التفرق فيه والتعادي بين أهله ، ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ أي اصطفاه لتوحيده واقامة دينه في زمن و بلاد غلبت عليها الوثنية وقوم أفسد الشرك عقولهم ودنس فطرتهم فكان ابراهيم خالصا مخلصا لله ، وبهذا المعنى سماه الله خليلا ، واذا أراد الله ان يكرم عبدا من عباده اطلق عليه ماشاء ، والا فان المعنى المتبادر من لفظ الخليل في استعمالنا له يتنزه الله عنه فان الخلة بين الخليلين انما تتحقق بشيء من المساواة بينهما وهي من مادة التخلل الذي هو بمعنى الامتزاج والاختلاط اه

أقول يطلق الخليل بمعنى الحبيب أو المحب لمن يحبه اذا كانت هذه المحبة خالصة من كل شائبة بحيث لم تدع في قلب صاحبها موضعا لحب آخر ، وهو من الخلة (بالضم) أي المحبة والمودة التي تتخلل النفس وتمازجها كما قال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا

والله يحب الاصفياء من عباده ويحبونه وقد كان ابراهيم كامل الحب لله ولذلك عادى أباه وقومه وجميع الناس في حبه تعالى والاخلاص له . وقيل ان الخليل هنا مشتق من الخلة (بفتح الخاء) وهي الحاجة لأن ابراهيم ما كان يشعر بحاجته الى احد غير الله عز وجل حتى قال في الحاجات العادية التي تكون بالتعاون بين الناس « الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني و يسقين » والاول أظهر وأكمل ،

والمراد بذكر هذه الخلة الاشارة الى اعلى مراتب الايمان التي كان عليها ابراهيم ليتذكر الذين يدعون اتباعه من اليهود والنصارى والعرب ما كان عليه من الكمال ، وما هم عليه من النقص ، ولذلك ذكر أهل الأثر ان هذه الآية نزلت في سياق الرد على أولئك المتفاخرين بدينهم المتبجح كل منهم بأنه على ملة ابراهيم . والمعنى ان ابراهيم قد اتخذه الله خليلا بأن من عليه بسلامة الفطرة وقوة العقل وصفاء الروح وكمال المعرفة بالوحي والفناء في التوحيد ، فاين انتم من ذلك ؟ ولا تكاد توجد كلمة في اللغة تمثل هذه المعاني غير كلمة الخليل ، واما لوازم هذه الكلمة في استعمال البشر التي هي خاصة بهم فينزه الله عنها بأدلة العقل والنقل . ثم قال عز وجل

﴿ ولله مافي السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ﴾ قال الاستاذ الامام : ـ ختم هذا السياق بهذه الآية لفوائد (إحداها) التذكير بقدرته تعالى على انجاز وعده ووعيده في الآيات التي قبلها فان له مافي السموات والارض خلقا وملكا وهو أكرم من وعد وأقدر من أوعد (ثانيها) بيان الدليل على انه المستحق وحده لإسلام الوجه له والتوجه اليه في كل حال ، وهذا هو روح الدين وجوهره لانه هو المالك لكل شيء وغيره لا يملك بنفسه شيئا ، فكيف يتوجه العاقل الى من لا يملك شيئا ويترك التوجه الى مالك كل شيء أو يشرك به غيره في التوجه ولو لأجل قربه منه ؟ (ثالثها) نفي ما ربما يسبق الى بعض الاذهان من اللوازم العادية في اتخاذ الله ابراهيم خليلا ـ كأن يتوهم أحد ان هنالك شيئا من المناسبة أو المقاربة في حقيقة الذات أو الصفات ، فبين تعالى ان كل مافي السموات والارض ملك له ومن خلقه مهما اختلفت صفات تلك المخلوقات ومراتبها في انفسها وبنسبة بعضها الى بعض . فاذا هي نسبت اليه فهو الخالق المالك المعبود وهي مخلوقات

مملوكة عابدة له خاضعة لأمره التكويني ﴿ وكان الله بكل شيء محيطا ﴾ إحاطة قهر وتصرف وتسخير ، واحاطة علم وتدبير ، قال الاستاذ الامام: فسروا الاحاطة بالقدرة والقهر ويصح ان تكون إحاطة وجود لان هذه الموجودات ليس وجودها

من ذاتها ، ولا هي ابتدعت نفسها وانما وجودها مستمد من ذلك الوجود الواجب الأعلى ، فالوجود الإلهي هو المحيط بكل موجود فوجب ان يخلص الخلق له ويتوجه اليه العباد وحده ، ولا يشركوا به أحدا من خلقه ،

(يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير) هذه الآية كانت آخر ما فسره شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الجامع الأزهر ، فرضي الله عنه وجزاه عن نفسه وعنا خير الجزاء ، وسنستمر في التفسير على هذه الطريقة التي اقتبسناها منه انشاء الله تعالى وان كنا محرومين في تفسير سائر القرآن من الفوائد والحكم التي كانت تهبط من الفيض الإلهي على عقله المنير الا في الجزء الثلاثين فانه كتب له تفسيرا مختصرا مفيدا . وكان فراغه من تفسير هذه الآية في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ وقد توفي في شهر جمادى الأولى منها رحمه الله تعالى ونفعنا به . وكتبت تفسير هذه الآيات في مدينة بمبي (أو بومباي) من ثغور الهند في غرة ربيع الآخر سنة ١٣٣٠ والله اسأل ان يوفقني لاتمام هذا التفسير ، انه على ما يشاء قدير

الخطبة الرئيسية

(في ندوة العلماء بلكنهو « الهند »)

« لصاحب المنار »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الذي أرسله ليخرج الناس من الظلمات الى النور . سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين . وعلى آله وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين

ثم انني بعد حمد الله وشكره عوداً على بدء ، أشكر لهذه الجمعية المباركة — جمعية ندوة العلماء — دعوتها إياي من مصر الى الهند لحضور الاحتفال السنوي العام الذي

تقيمه في هذا العام . وأن جعلت دعوتها هذه مبنية على حسن ظنها بي ورجائها الفائدة بحضوري ومشاركتي لاعضائها العلماء الاعلام .

أشكر هذه الجمعية بالقول كما شكرتها بالفعل بأن أجبت دعوتها وليت طلبها في وقت أنا أشغل فيه ما كنت منذ وجدت . فقد كنت مشتغلا بتأسيس دار الدعوة والارشاد والنظر في كل مايحتاج اليه التأسيس الحسي والمعنوي من حاجات البناء والاثاث والماعون وأدوات التعلم والكتب واختيار المعلمين والمستخدمين وغير ذلك .

جاءتني الدعوة وأنا على ذلك ، بل الامر أعظم من ذلك ، فوافقت ما كانت تصبو اليه نفسي ويحن اليه قلبي من زيارة الديار الهندية واختبار حال التربية والتعليم الاسلامي فيها . ولكن تعارض المانع والمقتضي بل كان هنالك موانع عديدة كل واحد منها كان كافياً للترجيح فكيف بها قد اجتمعت ؟ .

مضت سنة الله في سجايا البشر وطباعهم في العمل الذي يندفعون اليه بمقتضى فطرتهم أن يرجحوا المانع على المقتضي اذا كان كل منهما نظريا مناطه الرأي والفكر ، أو وجدانياً مناطه الشعور والهوى النفسي ، وأما اذا كان أحدهما وجدانياً أو بعده الوجدان والآخر ليس كذلك فان الترجيح يكون في الغالب للوجداني ، أو مايمده ويؤيده الشعور الوجداني

لهذا كانت تغالبني نفسي على إجابة الدعوة وترك ادارة مدرسة دار الدعوة والارشاد بعد فتحها وما عليّ من الدروس فيها ، وترك ادارة المنار وأعماله واتقاء غارب الاغتراب ، والنأي عن التلاميذ والمريدين والاصحاب ، وان لم أكن من الذين يرضون لانفسهم ترجيح مقتضى الشعور والميل على مقتضى المصلحة والرأي ، وان كان من الشعور والهوى ماهو عين الحق والهدى بدليل حديث « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » نعم مدرسة دار الدعوة والارشاد وهي منتهى رجائي في خدمة الاسلام ، وغاية سعيي في اصلاح التربية والتعليم ، وأقر الله عيني بروزيتها والبدء بالقاء الدروس فيها ، ورأيتني مدعواً الى مفارقتها في أول العهد بوصالها والتمكن من التمتع بجمالها ، فتجدد لي شعور ووجدان لم يكن عندي في أيام السعي والنصب ، وكنت كالعاشق الذي دعي الى ترك معشوقه بعد طول العناء في طلبه

هكذا كانت تتنازعني الآراء المتعارضة وتجاذبني أرواح الشعور المتناوحة . حتى عرضت ذلك على اخواني أعضاء ادارة جماعة الدعوة والارشاد ، بعد ان استشرت غيرهم من الاصدقاء ذوي الرشاد ، فأجمعت كلمة الجماعة على أن أجيب الدعوة ، وأن

أكون فيها سفيراً عنهم ووافداً من قبلهم ، أحيي بلسانهم ندوة العلماء، وجميع من ألقاه من مسلمي هذه الديار الفضلاء، وأعرض عليهم رأيي ورأي الجماعة فيما ينبغي لنا وما يجب علينا من خدمة الاسلام وترقية شأن المسلمين ، من طريق التربية والتعليم .

فأنا أيها السادة الاخوان ! ــ أخاطبكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جماعة من اخوانكم المسلمين في مصر الذين يشاركونكم في مثل شعوركم الشريف ، وسعيكم الحميد. فكان اجماع الاخوان هو المرجع الاخير الذي عليه التعويل وها أناذا بين أيديكم أليكم وأحييكم .

أيها الاخوة الكرام !

اذا كنت قد أضعت شيئا من وقتكم بذكر كلمات من خبر رحلتي اليكم فان لي نية صالحة تتعلق بغرضين : أحدهما أن يكون شفيعاً لي بين يدي مذاكرتكم في أمر التربية والتعليم بالاصغاء الى ما أقول فانه اذا لم يكن قول الخبير المدقق فهو قول المحب المخلص. ومن كان هذا شأنه فهو جدير بأن يتلقى ما يصيب فيه بالقبول وما يخطيء فيه بالعفو والسماح ، على انني مشتغل بهذه المسألة منذ خمس عشرة سنة بحثا ومذاكرة ومناظرة وكتابة وخطابة وتعليما . وان المقيم في مصر ليسهل عليه أن يعرف من أحوال المسلمين في تربيتهم وتعليمهم وسائر شؤونهم مالا يسهل على المقيم في قطر آخر ، ولهذا قال بعض عقلاء الافرنج : ان مصر هي الدماغ المفكر للعالم الاسلامي

والغرض الثاني من تلك الكلمات أن أبين لكم أنني لست أنا الذي أهتم وحدي بزيارة بلادكم واختبار أحوالكم ، بل يشاركني في ذلك جمهور المفكرين من اخواننا المصريين وكذا غير المصريين من فضلاء المسلمين ، وكل ما يحبه المرء ويهتم به يدركه وبناله .

أيها الاخوة الكرام !

ان للاسلام عليكم وعلى سائر مسلمي بلادكم من حق احياء علومه وآدابه وأعماله مثلما له على مسلمي مصر من ذلك ، فانني علمت بالاختبار الطويل انه لا يوجد بلاد اسلامية فيها من حرية التربية والتعليم ويقظة الفكر وسعة الثروة مثل ما في الهند ومصر ، ويجب علينا شكر هذه النعمة باستعمالها والانتفاع بها

ان اخواننا مسلمي التتار في روسية أيقاظ منتبهون وعندهم نهضة في التعليم تذكر فتشكر ، ولكن حكومتهم تضيق عليهم السبل ، وتطارد الاساتذة المعلمين منهم ، وتعاقبهم على جريمة التعليم (?!) بالنفي تارة وبالسجن تارة أخرى : كان الشيخ العالم الجليل الصالح عالمجان منذ ثلاث سنين عندنا في مصر منفيا من وطنه ، مبعداً عن بلده ،

لانه يعلم المسلمين وينبه أفكارهم في مدرسته الشهيرة في مدينة قزان، وقد نفي أخوه ومساعده في التعليم معه أيضا

وان الاخوين النجيبين عبدالله بوبي وعبيد الله بوبي قد أنشآ مدرسة في قرية «بوبي» واجتهدا في أمرها ما استطاعا فألقت عليهما الحكومة الروسية القبض في شتاء العام الماضي وألقتهما في غياهب السجن بقصد محاكمتهما في محكمة الجنايات بقزان، وقد مضى العام بطوله ولم يطلبا للمحاكمة ولكن رأينا في احدى الجرائد الاسلامية الروسية انه ينتظر ان يحاكما في هذا الربيع والله أعلم، وقد نشرت جريدة «نوفي فريميه» الروسية التي تصدر في بطرسبرج مقالات حثت فيها الحكومة على منع التتار من السعي لتعليم مسلمي تركستان (* ونبهتها الى خطر سياحتهم فيها لئلا ينبهوا الترك الغافلين(١)

هذه اشارة الى حال أقرب المسلمين الذين تحت سلطة دولة أوربية اليكم، وان حال مسلمي المغرب لشر من حالهم فان مسلمي التتار مجدون في أمر التربية والتعليم على مراقبة حكومتهم لهم وضغطها عليهم، وهم دائما يرسلون الوفود الى مصر وسورية والحجاز ليتعلموا ويتقنوا اللغة العربية ليكونوا معلمين اذا رجعوا الى بلادهم، ومنهم من يذهبون الى الاستانة لاجل تعلم الفنون العصرية، والمراقبة على هؤلاء شديدة. أما مسلمو تونس والجزائر فلا يستطيعون أن يعملوا مثل عملهم، فان مراقبة فرنسة لهم أشد، واحاطتها بهم أقوى وأعم، وقد اعترف بعض المنصفين من الفرنسيين بهذا الضغط، وصرح بعضهم بأنهم يعتقدون انهم سينسخون الاسلام واللغة العربية من الغرب، ولكن أناسا آخرين يرون ان حسن معاملة المسلمين أنفع لهم ويسعون في اقناع حكومتهم بذلك ولما ينجحوا في سعيهم. ولا أحب أن أزيدكم ما أعلم في ذلك

وأما مسلمو جاوه والملايو فحالهم أسوأ من جميع أحوال المسلمين. وقد أحاطتهم هولندة بسور من الجهل لايتسلقه أحد. وان شئتم أن تعرفوا شيئاً مفصلا عنهم فاني آتيكم برسالة مطبوعة باللغة الانكليزية في ذلك فانقلوها الى لغتكم وانشروها في جرائدكم واعتبروا بها واشكروا نعمة الله عليكم وجدوا واجتهدوا في تعميم التربية والتعليم بينكم أيها الاخوة الكرام!

ان الحكومة الانكليزية أوسع الحكومات الاستعمارية حرية ويمكن لمن يكونون في ظل حكمها ان يرقوا أنفسهم اذا سلكوا في ذلك طريق العقل والحكمة

*) قد صدر قانون (لائحة) المدارس في تركستان هو منشور في هذا الجزء
(١) راجع الجزء الماضي ص ٢٥٦

ولا يمكن ذلك لكل من كان في ظل غيرها من الحكومات الاستعمارية ، ورب ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، ومن العقل والحكمة ان يبتعد المشتغلون بالاصلاح العلمي والتهذيبي عن السياسة سرا وجهرا ، فان السياسة ما دخلت في عمل الا أفسدته كما قال الاستاذ الامام

لو كان الذين تضطهدهم بعض الدول وتعاقبهم على التعليم يمزجون علمهم بالسياسة لكنت أول من يعذرها . فانا علمنا من قواعد علم الاجتماع المستنبطة من التاريخ أن الدول لا تغفر أن تعارض أو تنازع في ملكها وسلطانها وقد تغفر ما دون ذلك من الذنوب اذا وقع ممن يخلصون لسلطانها أو تأمنهم عليه فذلك في دين السياسة كالشرك في الاسلام قال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »

قد عهد من بعض الدول الراقية العدل والرحمة في القضاء والادارة ولا توجد دولة في الارض تعتصم بالرحمة أو العدل في السياسة . وأعني من السياسة حفظ الملك والسيادة ، وما يتعلق بالتعدي على السلطة ، ولكن الدولة العاقلة تزن الشدة في ذلك والقسوة بميزان العقل والحكمة ، والسياسة قد يكون لها عقل ولكن لا يكون لها قلب

كانت دول الاسلام في العصر الاول أعدل وأرحم ما عرف التاريخ من الدول حتى في أثناء الفتوحات والحكومة العسكرية التي كانت ولا تزال تظهر القسوة الشديدة وقد اعترف بذلك المنصفون من مؤرخي الافرنج وعلماء التاريخ فيهم ، قال غوستاف لوبون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » فاذا كانت حكومة الخلفاء الراشدين لا يقاس عليها لأنها خلافة نبوة فهاتان الدولتان الاموية والعباسية كانتا أعدل دول الارض في القديم والحديث في القضاء وأوسعهن رحمة وجودا وفضلا على الرعية في الجملة ولكنهما استعملتا الشدة والقسوة في التنكيل بمن نازعهما السلطة حتى أنهم كانوا يذبحون آل الرسول عليه الصلاة والسلام ويقتلونهم اينما ثقفوا - من ظنوا أو توهموا انه يسعى منهم الى الملك أو يسعى له فيه ، بل شهد التاريخ وروى لنا أن الأب كان يقتل ابنه والابن يقتل أباه لاجل الملك

أيها الاخوة الفضلاء !

اذا كانت حكومتكم تسمح لكم أن تربوا أولادكم على عقائد دينكم وآدابه وفضائله وعباداته وأن تعلموهم ماينفعهم في دينهم ودنياهم كما تشاءون لاتشترط على جمعياتكم العلمية والدينية ولا على نظام مدارسكم الا احترام سلطتها ، وعدم معارضتها

في سيادتها ، فقد أعذرت اليكم ، واذا قصرتم ولم تبذلوا كل طاقتكم في تعميم التربية والتعليم فانما إثمكم على أنفسكم ، ولا لوم لكم الا عليها ، فكيف اذا كانت حكومتكم هي التي تحثكم حتى على التعليم الاهلي ، وتنشطكم حتى على التعليم الديني ، وقد فاجأني العجب وأخذ من نفسي كل مأخذ عند ما علمت ان الحكومة الانكليزية ترغب مسلمي الهند في تعلم اللغة العربية وتساعدهم على تعلمها ، وأنها خصصت مبالغ من المال لاجل تعليمها في بعض مدارسها ، ومبالغ لاعانة المدارس الاهلية على تعليمها ، كمدرسة العلوم الاسلامية في عليكره وغيرها ، كما اعطت المسلمين أراضي غالية الأثمان في عدة مدن لبناء مدارسهم الاهلية فيها وهذه ندوة العلماء جمعية دينية محضة ومن مقاصدها نشر الاسلام ، وقد أعطتها الحكومة أرضا غالية الثمن لبناء مدرستها فيها وخصصت لها مبلغ ستة آلاف روبية اعانة سنوية

لا أطيل في تفصيل ما سمعته منكم أي من أهل بلادكم من أخبار هذه المساعدات فانكم أعرف بها مني وانما أشير اليه لاذكركم بأن الحجة عليكم تكون أنهض اذا أنتم قصرتم في التعليم وان الحكومات لا تنهض بالامم اذا لم تنهض الامم بأنفسها ، فعليكم ان تعتمدوا بعد الاستعانة بحول الله وقوته على جدكم واجتهادكم وسعيكم (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وقد أعجبني جواب قاله لورد كرومر لبعض وجهاء المصريين اذ قال له ذلك الوجيه : انك أيها اللورد قد أصلحت المالية المصرية وجعلت خدمتك في مصر خالصة للحكومة ولم تعمل للمسلمين شيأ يرقيهم ، فقال له اللورد « ان الذي لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره ، فيجب أن تعملوا لانفسكم واذا عملتم وطلبتم مني المساعدة فانني أساعدكم »

حاجتنا الى اصلاح التربية والتعليم

أن حاجتنا معشر المسلمين الى اصلاح التربية والتعليم قد صار من البديهيات التي لا يماري فيها الا الراسخون في الغباوة أو المسرفون في المكابرة ، وقد اعترف به كبار علماء الازهر وهم أشهر علماء الاسلام وعلماء الاستانة ونفوذهم في المملكة العثمانية لا يعلوه نفوذ ، وقد عقدت في هذين السنتين لجان من الفريقين ومن رجال الحكومة للنظر في ذلك ووضعوا للاصلاح قوانين وبرامج جديدة ، واختاروا له كتبا لم تكن تقرأ فقرروها ورغبوا عن كتب كانت تقرأ فتركوها ، ورأوا الحاجة شديدة الى علوم وفنون جديدة فزادوها وكذلك نعلم أنتم أيضا في ندوة العلماء

ومكانكم من علماء المسلمين مكانكم ، وفضلكم فيه فضلكم ، وكذلك علماء تونس قد بحثوا في هذا الامر منذ سنتين واحدثوا عدة تغيرات في نظام التعليم ، وبقي هنا وهنالك في كل مكان من يرون أن ماجروا عليه واعتادوه هو غاية الكمال ، التي لا تقبل الزيادة بحال من الاحوال ، ولكن أرقى الباحثين والمصلحين للنظام الماضي في تلك الاقطار يرون ان ما وضع لاصلاح التعليم في الازهر والاستانة ليس هو غاية الكمال المطلوب ، وانما هو ضرب من التدريج في الاصلاح

ليس هذا ببدع في أحوال البشر فقد عرف من سنة الله تعالى فيهم أنهم لا يكادون يتفقون على شيء وان الجمهور الاعظم منهم لا يتفقون على تغيير ما في أحوالهم الاجتماعية الا في الزمن الطويل ، وان التغيير الفجائي السريع لا يخلو من خطر أو ضرر ، فليتمسك من شاء بالنظام المألوف فلا يضر طلاب الاصلاح شيئاً اذا كانوا يأخذونه بقوة ، ويدعون اليه على بصيرة ، وكان ذلك ناشئاً عن حياة جديدة نفخ روحها في الامة ، فان العاقبة لهم « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

ليس موقفنا هذا موقف مناظرة ، ولا مقامنا مقام الادلاء بالحجة ، وانما هو موقف تذكير للناسي ، وحفز لهمة الآسي ، وحسبنا من الذكرى فيه قول الله عز وجل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وانما نحن المسلمين نعرف من تاريخنا ومن آثار سلفنا اننا كنا نحن الائمة الوارثين ، والسادة المتبوعين ، والحكام العادلين ، والعلماء العاملين ، والصلحاء المخلصين ، والاغنياء المنفقين ، والصناع الماهرين ، والزراع المعمرين ، والتجار البارعين ، بل كنا فوق جميع الامم في كل علم وعمل ، حتى كاد العدد القليل منا لا يطئون أرض قوم الاويجذبونهم بأزمة قلوبهم وعقولهم الى اتباعهم في دينهم ولغتهم وآدابهم ، فهل نحن اليوم كذلك ؟ ألسنا قد تدلينا بل هبطنا من سماء تلك العزة والرفعة والسلطة وصرنا وراء الامم ، بعد أن كنا أئمة جميع الامم ؟ ألا نفكر في ماضينا وحاضرنا ، ونعتبر بسبق كل أحد حتى الوثنيين لنا ؟ أولئك الذين كانوا قبل اشراق نور الاسلام على هذه الديار شراً مما ترون عليه عامتهم حتى الآن - عراة الابدان ، يعبدون الجماد والحيوان ، والانهار والنيران ، ويأكلون على ورق الاشجار ، فهل غير الله ما بنا الا بعد أن غيرنا ما بأنفسنا ؟ كلا أنها سنته في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

نعم ان الله لم يغير ما بنا من نعمة ورفاهة وعزة وسيادة الا بعد أن غيرنا ما بأنفسنا من استقلال الرأي، وصحة الحكم، وحقائق العلم، ومكارم الاخلاق، وعقائل الصفات، والاعتصام بحبل الله، والتآخي في الايمان، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترجيح المصالح العامة على الاهواء الخاصة، وغير ذلك مما عده القرآن المجيد من صفات المؤمنين، وقال فيه «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» كذلك لا يغير ما بنا الآن من الضعف والفقر، وسوء الحال والهوان على الناس، والتحاسد والتباغض، والتعادي والتفرق، وغير ذلك مما نشكو منه، ولا نقلع عن أسبابه، حتى نغير ما بأنفسنا، ونعود الى الهداية التي كان عليها سلفنا ورحم الله الامام مالك حيث قال «لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها» وانما يكون تغيير ما بالانفس بالتربية والتعليم، فان المراد من التغيير ما يترتب عليه تغيير العمل. وانما الاعمال آثار العلوم والاخلاق فمتى كان العلم بالحق والباطل وبالمصالح والمفاسد والمنافع والمضار صحيحاً، والاخلاق فاضلة — كانت الاعمال كلها صالحة مؤدية الى رفعة الافراد وكمالهم الديني والمدني، فلابد لنا من إصلاح طريقة التربية والتهذيب، وإصلاح طريقة التعليم معاً، ولو كان التعليم الذي جرينا عليه من عدة قرون يخرج لنا رجالا ينهضون بالامة الاسلامية ويخرجونها من جحر الضب الذي نحن فيه لظهرت آثارهم ولما بقينا في هذه المهانة بضع قرون وكأنا مصابون بالفالج أو داء السكتة، ولكن ما هي التربية التي نرجو بها صلاح أخلاقنا وارتفاع هممنا، والتعليم الذي نرتقي به عقولنا ونعرف به ما ينبغي لنا؟

أما تربية الصغار التي عليها المدار، فهي ليست عندنا في محل البحث والتبيين، ولا في حيز العمل والتنفيذ، فأكثر المسلمين يتركون أولادهم سدى يجري كل منهم على ما عليه عشيرته وعشراؤه من هوى أو هدي، الا أن بعض المتفرنجين في بعض الامصار الكبيرة منا قد فتنوا بالمربيات الافرنجيات يلقون اليهن بافلاذ أكبادهم فيعلمن الذكور والاناث منهم لغاتهن، وينشئنهم على عادات أقوامهن. وأما تربية الكبار بالوعظ والارشاد فقد وكل عند عامتنا الى مشايخ الطرق وأكثرهم من الدجالين الجاهلين يزيدونهم بدعاً وفساداً وغروراً وضلالا.

وأما التعليم الديني فقد أشرنا الى عقمه وسوء أساليبه والاختلاف في الحاجة الى اصلاحه والاشتغال بوضع القوانين والانظمة والبرامج له، فهل هذا هو الاصلاح المطلوب؟

التعليم صناعة من الصناعات ترتقي بارتقاء العمران كما يقول حكيمنا الاجتماعي ابن خلدون ، وقد جرى أوائلنا فيه على مقتضى العقل والاختبار بحسب الحاجة التي كانت تظهر لهم وتليق بحالهم ، فكان أول ماجروا عليه طريق الرواية والتحديث والاملاء ، كان أحدهم يحفظ مايتلقنه أو يكتبه أو يجمع بين الحفظ والكتابة ، ثم جروا على طريق آخر من وجه آخر وهو طريق الاستنباط من المحفوظ والمكتوب وبسط الدلائل والمقارنة والترجيح بينها ، باستقلال الفكر ، واتباع مايظهر انه الراجح ، ثم وضعت المصنفات في العلوم والفنون المختلفة فكان ما كتبه الاولون مبسوطا سهل العبارة كثير الشواهد والبينات . ثم صار الناس يدرسون مصنفات من قبلهم فيشرحون ماغمض منها ويستدركون على المصنف فيما قصر فيه ، ويبينون غلطه فيما غلط فيه مؤيدين أقوالهم بالدلائل والشواهد ، ثم ضعفت الهمم وونت العزائم فصار الناس يختصرون المصنفات فيذكرون أهم قواعدها ومسائلها بعبارة مختصرة خالية من الدلائل والشواهد والامثلة - الا قليلا - وتباروا في الاختصار والايجاز فيه حتى نقل عن بعضهم انه كان يقرأ الشيء الذي كتبه بعد عهد بعيد أو قريب فلا يفهمه ، ثم حدثت عندهم طريقة شرح المختصرات ثم شرح الشرح ووضع الحواشي والتقارير عليها ، وجمل هذه الكتب كلها كتب تدريس تقرأ للطلاب يبدأ الاستاذ منها بقراءة المتن فالشرح فالحاشية فالتقرير فيكون جل شغله في إشغالهم بعبارات أولئك الكاتبين لاجل حل رموز ذلك المتن المختصر وبيان المراد منه وما يرد عليه وعلى تلك العبارات وما يجيب به عنها ولو بالتمحل وتحميل الالفاظ مالا تحمل

هذه اشارة وجيزة الى كيفيات افادة العلم في الزمن الماضي بالتدريس والتصنيف ومنه يعلم أنها كانت أطواراً مختلفة أقربها الى الصواب أقدمها ، ولم ينتقل المسلمون من طور منها الى طور دفعة واحدة لأنها لم تكن تحصل من قبل ادارة عامة تضع لها القوانين والانظمة والبرامج والجداول وتوزعها على جميع المعلمين كما تفعل وزارات العلوم والمعارف في الدول المرتقية في هذا العصر ، وانما كان الانتقال من طور الى طور يحصل بالتدريج . وقد كان في زمن العباسيين شيء من النظام المعروف المتبع في المدارس الكبرى ولا سيما المدرسة النظامية ببغداد وما كان على طرازها فيها وفي غيرها ، ولم يرتق ذلك النظام ويدون ويعم لانه لما وجد كانت جراثيم الضعف والمرض الاجتماعي قد بدأ يظهر تأثيرها في جسم الامة ولذلك قام بعض العلماء الاعلام يبحثون في طريقة التعليم وأساليبه ويضعون القواعد له كما فعل أبو حامد الغزالي في كتاب

العلم من احياء علوم الدين ، وتلميذه أبو بكر العربي المغربي ، ثم ابن خلدون ، ثم الشيخ زكريا الانصاري ، وكان ينبغي ان يقرأ فن التعليم بالتصنيف وتحقق مسائله وتحمل معاهد العلم الكبرى على العمل حتى بما يظهرانه الصواب ، ولو بأمر الحكومة ، الى ان يظهر للعلماء شيء من الخطأ فيه فيرجع عنه كما تنسخ نظارات المعارف في دول الحضارة الآن كثيراً من مواد قوانين التعليم ونظام المدارس اذا ظهر لها انه ضار وان غيره أنفع منه وانما لم يفعلوا لان الامة كانت في طور التدلي والانحطاط ، فكيف تهتدي الى أوثق أسباب النهوض والارتقاء ،

وقد بينت هذه المسألة في المقدمة التي وضعتها لكتاب أسرار البلاغة تصنيف امام فن البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني عند طبعه ، وهذا الكتاب في البيان وصنوه كتاب دلائل الاعجاز في المعاني هما خير مثل لما أشرنا اليه من تدلي التصنيف والتعليم فانهما على كونهما أول الكتب التي صارت بها البلاغة فنا مدونا ذا قواعد وقوانين كلية مقسمة الى أبواب وفصول لا يزالان أفضل وأنفع مما صنف بعدهما واستمد منهما ولا سيما الكتب المشهورة المتقنة الصنعة كالمفتاح للسكاكي والمطول والمختصر للتفتازاني — اللذين فتن بدقة صنعتهما جميع علماء المسلمين في بلاد العرب والعجم فجعلوهما من كتب التدريس فكان ذلك سبب موت البلاغة العربية في جميع المدارس الاسلامية ، ولذلك اجتهدنا مع شيخنا الاستاذ الامام في البحث عن نسخ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز في الحجاز والعراق والآستانة وتصحيح ماظفرنا به وطبعه ، وقد قرأهما الاستاذ الامام في الجامع الازهر فاستفاد منهما كثير من الطلاب وانتعشت البلاغة العربية العملية في الازهر بل انبثت فيها نسمة الحياة بعد أن طال عليها زمن الموت وقررتهما نظارة المعارف المصرية في مدرسة دار العلوم وهي المدرسة التي يتخرج فيها مدرسو اللغة العربية ، وقررتهما ادارة معارف السودان أيضا في مدرسة غوردون الكلية ، ولو شئت أن أذكر الامثلة على تدلينا في التدريس والتصنيف في كل علم من العلوم الاسلامية لضاق وقت هذا الاجتماع عنه وفاتكم ماتنتظرون سماعه من كثير من العلماء الاعلام

ان ما أشرت اليه من التدلي في التصنيف والتعليم كان عاما شاملا لجميع البلاد الاسلامية ولا غرو فالمسلمون أمة واحدة وقد كان ارتقاؤها في العلوم والاعمال من آثار هداية دينها . وتدليها فيهما من الانحراف عن صراط دينها ولكن البلاد الاعجمية أصيبت بمرض آخر في تعليم الدين ووسائله وهو ان علماءها صاروا يدرسون تلك العربية التي لا تصلح لتعليم العرب أنفسهم على الوجه المؤدي الى الغاية من اللغة

والدين بالترجمة للطلاب فكان هذا مصابا على مصاب . اذ صار طالب العلم يشتري بالعشرات من سني عمره قواعد عامة للغة لا يعرفها كما تعرف اللغات فيعسر عليه أن يطبقها على جزئياتها وأن يصل بها الى الغاية المقصودة من اللغة وهي أن تكون ملكة له يقدر على التكلم والكتابة بها بغير تكلف ويفهم الكلام البليغ منها بغير تردد ويتأثر به من غير تصنع فان كان مقنعاً اقتنع وان كان وعظاً اتعظ وان كان سار أسر وان كان محزنا حزن

كان علماء العجم في القرون الاسلامية الاولى يشاركون اخوانهم المقيمين في بلادهم كالشام ومصر وأفريقية والاندلس في التأليف والتصنيف والانشاء والشعر ويضربون معهم بكل سهم فكانوا أحسن مظهر لوحدة الاسلام وانما كان ذلك لانهم كانوا يحذقون اللغة العربية بالعمل حتى تصير ملكة راسخة فيهم كرسوخها في أبنائها ولما تضاءلت الهمم وضعفت العزائم وفشت بدعة تعليم العربية والدين ذهبت تلك المزية وضعفت العلوم الدينية واللغوية وتراخت رابطة الوحدة الاسلامية وما عاد ينبغ في بلاد الاعاجم في تحصيل تلك الكتب التي أشرنا اليها على قلة الغناء فيها الا أفراد يعدون على الانامل ، بل يمكنني أن أقول انهم من القلة بحيث لم يصل الينا من نثرهم ونظمهم شيء خال من لوثة العجمة . وقد كان السيد جمال الدين الافغاني الحكيم الكبير والمصلح العظيم هو الذي نفخ روح الاصلاح اللغوي والعلمي في مصر وحمل تلاميذه من طلاب الازهر على الكتابة والخطابة وأرشدهم الى طرقهما . وكان هو كاتبا بليغا ، وخطيبا مفوها ، حتى كان يخطب بالعربية عدة ساعات بلا تلعثم ولكنه مع هذا كله ظل الى آخر عمره يعرف الاعلام التي لا يجوز تعريفها وتظهر العجمة في لهجته وبعض ألفاظه فلم يصقل لسانه بفصاحتها كما كان الزمخشري وأمثاله ممن قال فيهم ابن خلدون انهم ليسوا أعاجم الا في النسب . وسبب ذلك أنه تعلم العربية تعلما فنيا في الكتب ثم اهتدى في الكبر بثاقب عقله ونور بصيرته الى الطريقة التي بها تطبع ملكة اللغة في النفس واللسان فهدى تلاميذه من العرب بمصر اليها فكانوا أسلس منه عبارة وأنصع ديباجة وأسلم من تكلف الصنعة (للخطبة بقية)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٤

أما المصانع ـ فان هشاما حصن المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكي وحفر له خندقا وبنى حصن قطر غاش ، وحصن مورة ، وحصن بوقا من عمل انطاكية . وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذي هدمه الرشيد . وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين . وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا ، واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفاً من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح وأمر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها . واحدث الحجاج احد امرائهم في سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها ، واحدث سليمان بن عبد الملك في ولايته مدينة الرملة ومصرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج . وبنى احد قوادهم عقبة ابن نافع الفهري بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض في الاندلس وحدود بلاد الروم والسند

ثم امنوا الطرق وعمروا السبل فكان موضع قيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لايرام من السباع والحيات والعقارب القتالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فأصبحت طرق افريقية آمنة مستأنسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك . وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجه الوليد اليها اربعة آلاف من الجاموس فنفع الله بها . واذكر ما كتب ابن الاثير في حوادث سنة ٨٨ « ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار » وكان الموضع الذي فيه نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك . ولما بغى سيل الجراف بمكة في سنة ٨٠ في زمن عبد الملك أمر عامله بعمل ضفائر الدور الشارعة

على الوادي وضفائر المسجد وعمل الردم على افواه السكك . وحفر عدي عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدي .

ومن الاخبار التي تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم في ازاحة خللها واماطة أذاها - انه شكا أهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه : إن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فأنفقه عليه ، فحفر لهم النهر الذي يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجائرون الغاشمون (كما يقول جرجي افندي زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ، ونهر دبيس ، ونهر الاساورة ، ونهر عمرو ، ونهر أم حبيب ، ونهر حرب ، ونهر بزيدان ، ونهر سلم ، ونهر ناقد ، ونهر خيرتان ، ونهر مرة ، ونهر بشار ، ونهر بزور ، ونهر حبيب ، ونهر ذراع ، ونهر ابي بكرة ، وغيرها من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها (١) بالبصرة فما بال غيرها من البلاد ؟

أما مابذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد في بناء المسجد النبوي وتذهيب البيت والمسجد الاموي الذي هو معدود من إحدى العجائب في كثرة نفقاته وعظمة بنائه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو أشهر من نار على علم

وبنو أمية هم أول من اتخذ دار الضرب في الاسلام فسكوا به الاسلام رفعة وأغنوه عن نقود الروم والفرس ومحوه مما أوعده الروم بنقش شتم النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية (٢) فزادت العربية انتشاراً ونفوذا ولم يمض برهة من الدهر حتى أصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان ، وهم أول من بنى مستشفى في الاسلام - بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين ، جعلوا فيه الاطباء وأمروا بحبس المجذومين وأجروا لهم الارزاق ، وهم أول من أنشأ داراً للعميان ، وهم أول من عمل دار الضيافة (٣) بعد عمر بن الخطاب ، وهم أول من رثى للايتام وتحنن عليهم ورتب لهم المؤدبين ليعلموهم (٤)

﴿ نشر المعارف والعلم ﴾

أما العلم - فقد زخر بهم بحره ، وأزهر بدره ، فالقرآن الذي هو عمود الاسلام ، ورأس العلوم ، وينبوع المعارف ، أدرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو

---

(١) راجع لكل ذلك البلاذري (٢) راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذري
(٣) اليعقوبي ذكر الوليد (٤) السيوطي ذكر الوليد

أموي . ثم بعد ذلك اختلطت العرب بالعجم واحتكت بهم ففسدت لغتها وأسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف في القرآن وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو أحد أمراء بني أمية الى كتابه فوضعوا النقط والاعجام(١) فعصموا به كتاب الله أن يتطرق اليه التصحيف والتحريف تطرقهما الى التوراة والانجيل ، ووالله هذا أعظم مبرة برّ بها الاسلام لا تساويها مبرة وأعظم منة منّ بها على الذين لاتوازيها منة . ثم كتب الحجاج المصاحف وفرقها في الامصار وكان الوليد ـ الذي رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن ـ يحث الناس على حفظ القرآن وكان يجزل الصلات لحفظته ويضرب الذين لم يحفظوه (٢) فكثر حفظته وعظم قدرهم وجات رتبتهم

أما التفسير ـ ففي أيامهم نبغت أجلة المفسرين من التابعين ، وفي أيامهم دون التفسير في الصحف فأول من وضع في التفسير ابن جبير بأمر عبد الملك (٣) ثم مجاهد

أما الحديث ـ فكانوا يدرون على أهله الصلات ويبعثون اليهم بالهدايا ويجرون لهم الارزاق لينقطعوا الى حفظ الحديث وروايته ونقله وكانوا يكرمون الفقهاء ويجلون مقامهم ويراعون جانبهم ، فقد كان يصيح صائح من بني مروان في موسم الحج : ألا لا يفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح اجلالا لشأنه ولكثرة علمه بالمناسك (٤) وكان عبد الملك أمر الحجاج وهو أميره على الموسم أن يقدم ابن عمر في الحج ويقتص أثره في المناسك ، وكان سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبي وميمون بن مهران والزهري وأيوب ابن أبي تيمة وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحياه أعزة عند بني أمية وكان أكثرهم عمالا لهم وهم أساطين الحديث وأئمة الرواية وأعلام النقل . وأنت تعلم ان أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أنها استودعت بطون الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم، فاسألك بحرمة التاريخ من أمر أهل هذا الشأن بتدوينها في الكتب ـ أليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي ؟ فجاء في الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وكتب الى أبي بكر بن حزم رأس المحدثين « أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه لي فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء» وقد كتب ابن حزم كتبا في الحديث فتوفي

(١) ابن خلكان ذكر الحجاج (٢) العقد أخبار الوليد ص ٢٣٩ وابن الاثير سنة ٨٨
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي . ذكر عطاء بن دينار (٤) ابن خلكان . ذكر عطاء

عمر ثم وضع الكتب فيه ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبدالعزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه (١)

أما أصول اللغة ونحوها - فقد كان تدوينها بأمر أمراء بني أمية ، ذكر ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ٢٤٠) ان أبا الاسود الدؤلي استأذن زياداً بن ابيه - وهو والي العراقين يومئذ - ان يضع للعرب مايقيمون به ألسنتهم فأبى ثم بدا له صواب رأيه فدعا الدؤلي وقال له ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم فوضعه وأخذ عنه ما وضعه عنبة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضرمي وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل (٢) وهؤلاء كلهم كانوا في عصر بني أمية وهم واضعو النحو ومدونو أصوله

أما الشعر - ففي عصرهم فتقت ألسنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم فنحول الشعر وأمراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمي وجرير الخطفي والاخطل التغلبي وعمر بن ابي ربيعة القرشي وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ونصيب وهؤلاء كلهم كانوا يقصدونهم بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت ألسنتهم بما اصبح زهرة للأدب وزينة للغة

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس أخبار الشعراء ، وكانوا يستوفدون الشعراء ويستنشدونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون أبناءهم الى البادية ليتلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من أفواه الاعراب وأهل البادية ،وقد جمع الوليد بن يزيد بن عبدالملك ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وانسابها ولغاتها (٣)

أما علم التاريخ والسير والمغازي - فبعصرهم افتتح عصره ، وبأمرهم ارتفع أمره ، فنحول أصحاب السير والمغازي هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهري صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤ وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ ولهؤلاء كلهم كتب في التاريخ والسير والمغازي (٤) ووضع في أيامهم عوانة المتوفى سنة ١٤٧ كتاب التاريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وكان للملوك بني أمية رغبة شديدة في استطلاع الاخبار الماضية وحوادث الامم الخالية . قال المسعودي :انه كان معاوية يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ثم ينام ثلث الليل ويقوم

(١) مقدمة الزرقاني على الموطأ (٢) ابن خلكان مجلد ٢ ص ٣٨٠ (٣) الفهرست صفحة ٩١ (٤) راجع كشف الظنون وتذكرة الحفاظ

فيأتيه غلمان وعندهم كتب فيقرأون عليه مافي الكتب من اخبار الامم وسير الملوك وسياسات الدول ، ولم يصبر على ذلك حتى استحضر عالم عصره عبيد بن شرية من صنعاء اليمن وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العجم وسبب تبلبل الالسنة وأمر افتراق الناس في البلاد ، وأمره أن يدوّن ماعلمه ، وعاش عبيد الى أيام عبد الملك وتوفي وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب أخبار الماضين (١) وأخذ عنه اناس منهم ابن النديم وكان من رواته زيد الكلابي في أيام يزيد بن معاوية عارف بأيام العرب وأحاديثها (الفهرست صفحة ٩٠) وقد كان هشام مشغوفا بالسير والاخبار فنقل له جبلة بعض كتب سير الفرس من الفارسية الى العربية (٢) وأمر هشام النقلة فنقلوا له كتاب تاريخ ملوك الفرس وقوانين دولتهم وتراجم رجالهم وكان هذا الكتاب مصورا ، ثم نقله سنة ١١٣ رآه المسعودي سنة ٣٠٣ في مدينة اصطخر كما ذكر في التنبيه صفحة (صفحة ١٠٦)

أما علوم الفلسفة ومنها الطب والكيمياء — فكان لهم في نقلها الى العربية آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاوية كتب الطب من اليونانية وهذا أول نقل في الاسلام ، وكان في البصرة في ايام مروان بن الحكم طبيب ماهر يهودي النحلة عارف بالعربية اسمه ماسرجويه فنقل ماسرجويه هذا كناش القس اهرون بن اعين من السريانية الى العربية فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب في الشام فأخرجه للناس وبثه في أيديهم (٣) وخالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل أمية أول من طلب علوم الفلسفة في الاسلام، وخبره انه كان يطمع في الخلافة فلما وثب مروان عليها رغب خالد عنها الى طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ومنهم مريانوس الرومي الذي اخذ عنه صنعة الكيمياء والطب وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية والقبطية الى العربية فنقلوها له ولخالد كلام في الكيمياء والطب — وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما — وله رسائل دالة على معرفته وبراعته كما اخبر به ابن خلكان ، وقد ذكر له ترجمة صالحة ابن النديم في فهرسته ونقل سالم كاتب هشام — وهو ابو جبلة المار ذكره — رسائل ارسطاطاليس الى الاسكندر . فبناء على ماقدمنا من القول بنو أمية هم أول من استقدم الفلاسفة واستدناهم في الاسلام ، هم أول من أمر بنقل العلوم الى العربية في الاسلام ، هم أول من انشأ خزائن للكتب

(١) كتاب الفهرست صفحة ٢٤٤ (٢) راجع الفهرست ايضا (٣) أخبار الحكماء وعيون الانباء

في الاسلام ، وقد ضربنا صفحا عما كان لآل أمية بالاندلس في السياسية والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة . فهل لك أيها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل ، والى الرجوع عن ضلال الرأي من طريق ؟

﴿ صنيع المؤلف بالعباسية ﴾

عهدنا الوحوش الضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والارتواء بالدم واذا دخلت غابتها وأحاطت بها عائلتها تبدل القسوة بالرحمة والفظاظة باللطف والغضب بالحنان ، فبينا أحدها عبوس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه المينة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة ، وكذلك شأن قواد الجند وابطال الحرب فانك ترى أحدهم اذا قاتل الاكفاء وناطح الاقران هو شهاب ينقض ، ونار تلتهب ، وسعير تفور ، واذا عاشر الاصحاب فهو ألينهم جانبا ، وأحلاهم خلقا ، وأوسعهم حلما ، وأرقهم طبعا ، وقد حدثنا المؤلف وتجمناعودة في معاملته مع اعدائه (بني أمية) فلننظر كيف حاله في معاشرته مع اصدقائه (العباسية)

قال المؤلف

« فخب بعضهم الى المنصور أن يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها (١) في العراق ويكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيراً للكعبة وقطع الميرة في البحر عن المدينة » (الجزء الثاني صفحة ٣٠)

وقال « وأراد المعتصم أن يستغني عن بلاد العرب جميعا وكان قد بنى سامرا بقرب بغداد وأقام فيها جنده فأنشأ فيها كعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منى وعرفات الخ » (الجزء الثاني صفحة ٣٢)

وقال « فلما أفضت الخلافة الى المأمون الخ — ثم قال — فأخذ يناظر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن أي انه غير منزل » (الجزء الثالث صفحة ١٤١)

غير خاف على أحد ان العباسية ان افتخروا وتطاولوا على منازعيهم في الرئاسة فمظم فخرهم وأبين حججهم انهم بنو عم النبي وسدنة البيت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القرآن (وصاحبنا يقول) ان المنصور وهو مؤسس دولتهم وفاتحة خلفائهم بنى القبة الخضراء إرغاماً للكعبة وقطع الميرة عن المدينة تضييقاً على أهلها

(١) لعل صحة العبارة ان يقول : ان يستبدل بالكعبة الخ اه مصحح

وان المأمون – وهو أفضل خلفائهم ديناً وورعاً – كان ينكر نزول القرآن . وان المعتصم – وهو خامسهم وواسطة عقدهم – بنى كعبة في سامرا وجعل لها طوافاً . ولذلك نقول : ان الحاكم بالعدل والقائم بالقسط ليس له حميم ولا عدو فهو يتحرى الصدق ويدور مع الحق كيفما دار . فالمؤلف اذا أنته سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة لهم ولا ميل اليهم ، وكذلك اذا عرضت له حسنة من بني أمية فهو يوفيهم حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر – هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهبت الثقة فان المؤلف لما ذكر بني أمية عقد لمثالبهم أبواباً منها : استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما سبق ذكره ، فلو كان مغزى المؤلف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية أيضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن ، وهنا موضع نظر الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغض من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموساً مبدداً تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيته معاً

أما كشف الجلية عن أصل الحال فالامر ان من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلي الى خاصة انتمائه به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء (بنو أمية والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم أو يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما أراد أهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كف أصحاب علي عن القتال ولما قال علي هذه خديعة منهم قالوا: اذا لم تذعن لهذا خلعناك ، فلم يقدر على خلافهم ورضي بما لم يكن وفق رضاه، ولما فعل يزيد مافعل ضج الناس وكادوا يسطون عليه لولا أنه مات عاجلا ولما أراد الحجاج قتال ابن الزبير أغراهم بأن ابن الزبير ألحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (رض) ولما جاهر الوليد بن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال أبو نواس يمدح الامين وصدر القصيدة بهذا البيت

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّاً فقد أمكن الجهر

اتخذ المأمون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين . فهل تصدق بعد كل ذلك بأن المنصور أو المعتصم كان يقـدر أو يسوغ له أن يصغر شأن الكمة وبعس من شرفها؟ وهل كان يقـدر المأمون أن يحمل الناس على انكار القرآن والعياذ بالله؟ فأما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فـكله تحريف وتدليس وسوء تأول ولولا أنني سئمت من كشف دسائسه مرة بعد أخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ هـ واصطنع الاتراك والفراغنة ازداد العرب احتقاراً في عيون أهل الدولة وتقاصرت أيديهم عن أعمالها حتى في مصر .... – الى ان قال – فأصبح لفظ عربي مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن أقوالهم : العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه وقولهم : لا يفلح أحد من العرب الا أن يكون معه نبي ينصره الله به (الجزء الثاني صفحة ٣١ و٣٢)

من احسن أعمال آل عباس عند المؤلف انهم صغروا شأن العرب وساموهم الخسف وسلطوا عليهم الاعاجم والاتراك وجعلوا هؤلاء ولاة البلاد بيدهم الامر والنهي والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام . ذكر ذلك في غير موضع وكلما ذكره وجد من نفسه ارتياحاً اليه وشفاء لحزازته وهزة لعطفه ونيلا لأربه ومع ان الواقعة مكذوبة أو محرفة على جري عادته فنحن لانتازعه في ذلك ونطوي الحديث على غرته ولكن نقول اذا مدح أحد مثلا دولة فرنسة وقال انهم ذللوا الفرنسيين وأرغموا انوفهم واستلبوهم المناصب وقلدوا الولايات الاجانب وجعلوهم قابضي ازمة الامور يولون ويعزلون ، وينفقون ويمسكون ، فهل هذا يكون مدحاً ترضى به دولة فرنسة أو يكون هذا عاراً يستحيى منه ؟ ومسبة يستنكف عنها، وشناعة تشمئز منها القلوب؟ وانصف من نفسك ما كان حظ العباسيين من تولية الاعاجم . اما آل برمك فلا تنكر فضلهم ومحاسن آثارهم ولكنهم مع كل ذلك استأثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتى لم يكن حظ الخلفاء من الخلافة الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم وازالة دولتهم . وأما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوا وعذبوا بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعاً يسألون الناس ولا يعطون . فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة يفتخر بها ؟ .

﴿ الخلفاء الراشدون ﴾

المؤلف حرفته تأليف الكتب متكسبا بها وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد

على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه ، وخابت صفقته ، فدبر لذلك حيلا لا يكاد يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رءوس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها في ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية ، وتارة بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها ، وتارة بذكرها محتالا لها عذراً . واذا كررت النظر في كلامه وتصفحت ماقيه وجمت ماهو مبدد ونظمت ماهو مفرق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من أشد أعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا أهل الذمة وجعلوهم أذلاء لا يؤذن لهم ولا يؤبه بهم

أما كونهم أعداء العلم فبين المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال « كان الاسلام في أول أمره نهضة عربية والمسلمون هم العرب وكان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس ولاجل هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ... – الى ان قال – وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن الخ »

« أما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام أن الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي أن ينظر في كتاب غير القرآن الخ

« فتوطدت العزائم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا يومئذ هدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة » الخ (الجزء الثالث صفحة ٣٩)

« وبناء على ذلك هان عليهم إحراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس في الاسكندرية وفارس » الخ (الجزء الثالث صفحة ١٣٥)

﴿ حريق خزانة الاسكندرية ﴾

لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (١) نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالا

قال : أولا – « قد رأيت فيما تقدم رغبة العرب في صدر الاسلام في محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمي الصحابة ،

(١) الجزء الثالث من تمدن الاسلام ص ٤٠

الذي ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحول عليه هنا أقوال منها : « ان الاسلام يهدم ما كان قبله » وكنا يعرف ان المراد به إبطال عوائد الجاهلية وزعوماتها وليس المراد محو الكتب أو إحراق الخزائن ولكن لما كان المؤلف دخيلا فيناغريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله أو لعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبي عليه السلام « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » وأي متعلق في هذا ؟ بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يأمر بالايمان بما أنزل الى أهل الكتاب، أما الاغفال عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فلأجل كون أهل الكتاب غير موثوق بهم في الرواية ، ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم « رأى في يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي » وهذا لا مستند فيه للمؤلف فان النبي صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها أيدي النقلة ولذلك قال ألم آتكم بها بيضاء نقية وهذا لا يستلزم بل ليس فيه أدنى إشارة الى محوها وإلحاق الضرر بها ونزيدك إيضاحاً للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب ، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القرآن وعليه المعول وهو المستمسك في كل باب وكان هو العروة الوثقى في ذلك العصر للصحابة وأهل القرن الاول ، والقرآن له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذي نوّه بذكرهما وعظم شأنهما ، فقال

« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ،(والمراد بالذكر التوراة) - انا أنزلنا التوراة فيها هدى - ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم - مصدقا لما بين يدي من التوراة - ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، » (أي التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من أجلة الصحابة منقطعين الى قراءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل أخذوا يروون ويتفاوضون كل ماوجدوا من أقاصيص أهل الكتاب ومروياتهم وقد اعترف بذلك المؤلف نفسه فقال

« وقد رأيت ان العمدة في التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبي فالصحابة فالتابعين ، والعرب يومئذ أميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من أسباب الوجود وبدء الخلقة وأسرارها سألوا عنه

أهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى - الى أن قال - فكانوا اذا سئلوا عن شيء أجابوا بما عندهم من أقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلأت كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤) (يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في العهدين العتيق والجديد)

٢

واذا ترجمنا عبارة داود هكذا (ثقبوا يديّ ورجليّ) كما يترجمونها كان المعنى أنهم أتلفوهما وهو كناية عن تعطيل جميع قواه وقهره واذلاله بسبي نسائه ونساء رجاله وبنيهم وأخذهم الغنائم الكثيرة منهم (١ صمو ٣٠ : ٣ و ١٩) ألا ترى إلى قوله في نفس هذا المزمور ٢٢ : ١٤ (كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامي . صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي) الخ فهل هذه الاشياء وقعت بالفعل ؟ وهل انفصلت عظام داود أو المسيح حقيقة وذاب قلبهما ؟ أم كل هذا كنايات كقوله (ثقبوا يديّ ورجليّ) ؟ وكان داود يدعو الله أن ينصره على أعدائه ويخذلهم وينجيه من تعيير رجاله له ورغبتهم في رجمه . وقد كان ذلك كله فنصره الله عليهم وقتلهم واسترد منهم جميع ما أخذوه كما سبق (١ صمو ٣٠ : ١٧ - ١٩)

وأمثال هذه الكنايات كثيرة في المزامير وغيرها راجع مثلا قوله مز ٣ : ٧ (قم يارب . خلصني ياإلهي . لانك ضربت كل أعدائي على الفك . هشمت أسنان الاشرار) ومزمور ١٨ و ٣٥

أما المسيح عليه السلام فلم ينجه الله تعالى على قولهم من يد أعدائه بل أخذوه وعذبوه وصلبوه وقتلوه مع أن مقتضى المزمور الذي نحن بصدده أن الله استجاب

(*) تابع لما نشر في الجزء الرابع ص ٢٨١

دعاء داود ونجاه من أعدائه ومن الكرب الذي كان فيه (انظر عدد ٢٤ منه) فكيف اذا ينطبق هذا على المسيح ؟!

(برهانهم الرابع) ما ورد في الأصحاح الثاني عشر والثالث عشر من سفر زكريا . إعلم أن الاصحاح الثاني عشر هونبوءة عن يهوذا المكابي وملخص قصته كما في التواريخ المسيحية وكما في سفر المكابيين المقدس عند الكاثوليك وعند الأورثدكس أن ثلاثة من الكهنة الاشرار منهم واحد يسمى (الكميس) جمعوا حولهم نفرا من قومهم اليهود وذهبوا إلى انتيوخس ملك سوريا اليوناني ووشوا إليه بالآخرين من أمتهم وحرضوه عليهم فانقاد الملك لرأيهم وسار إلى أورشليم وسلب ما في الهيكل فهرب من بقي في المدينة وولى على اليهود واحدا من قواده وأمره أن يطلب من اليهود أن يسجدوا لأصنامه وأن يأكلوا لحم الخنزير وأن يتركوا الختان وكان يقتل كل من لم يقبل ذلك وكان أكثرهم طاعة الكهنة الثلاثة المذكورون سابقا وحزبهم تسلطوا على اخوانهم الذين لم يطيعوا وفي سنة ١٦٦ قبل الميلاد قام كاهن من اليهود الصالحين رئيسا عليهم فقتل أحد عساكر الملك وهو يهودي منافق وقتل القائد أيضا فقويت بذلك قلوب اليهود

ولما توفي خلفه ابنه (يهوذا) فالتف حوله جمع عظيم وحارب جيش الملك فهزمه ، وأراد الملك أن يأتي بنفسه اليه والكنه مات في الطريق ، ولما فرغ يهوذا من محاربة اليونان دخل أورشليم وأزال الأوثان وطهر البيت وبنى مذبحا جديدا ثم قتل بعد ذلك في بعض وقائعه مع اليونان وكان في جيش عدوه (الكميس) وكثير من منافقي اليهود فبكاه شعب إسرائيل بكاء عظيما وتولى أخوه يوناثان بعده (راجع الفصل ٩ من سفر المكابيين الاول عدد ٢٠) فلذا قال زكريا في كتابه ١٢ : ٢ (هانذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) . (وفي نسخة الكاثوليك ويهوذا أيضا تكون في الحصار على أورشليم) إلى قوله ٣ (يجتمع عليها كل أمم الارض) أي الشعوب التي حولها فلا يدل هذا على التعميم كما يقولون هم في مثل قول لوقا ٢ : ١ (وفي تلك الايام صدر أمر من

أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة) أي الارض التابعة للرومان فقط وفي قول التكوين ٤١ : ٥٦ (وكان جوع على كل وجه الارض ٥٧ وجاءت كل الارض إلى مصر) وكذا قوله تك ٧ : ١٩ (فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء) إلى قوله ٢٣ (فمحى الله كل قائم كان على وجه الارض) ثم قال زكريا ١٢ : ٤ (في ذلك اليوم أضرب كل فرس بالحيرة وراكبه بالجنون ٦ في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح ٧ ويخلص الرب خيام يهوذا ١٠ وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إليّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) وصحة الترجمة (ويسلمون الي « أمر » الذي طعنوا) بدون هاء الضمير وذلك أن الذين كانوا مع يهوذا المكابي تركوه خوفا من جيش العدو ولم يبق منهم إلا قليل هربوا أيضا حينا قتل وسلموا أمره إلى الله وإنما نسب الطعن إليهم لانهم تسببوا فيه بفرارهم من حوله . وايضا لان الجيش الذي طعنه كان فيه كثير من اليهود مع (الكيس) الذي كان يرغب أن يكون كاهنا أعظم وأتى بجيش لملك لمحاربة يهوذا معه . وعلى فرض صحة ترجمة البروتستنت وأن المعنى (فينظرون إليّ أنا الذي طعنوه) فالذي طعنوه هو (يهوذا) وإنما أسند النظر والطعن إلى الله تعالى على حد قول الانجيل (متى ٢٥ : ٣٥ لاني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني) إلى قوله ٤٠ (بما انكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم) وقوله تعالى في القرآن الشريف (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) ولما كان يهوذا المكابي بهذا مرضيا عند الله ومحبوبا وأعماله إنما هي لله - نسب تعالى طعن أعدائه له لنفسه تعالى كما نسب جوع الفقراء وعطشهم له . وقد أشار دانيال (كما قالوا) في آخر سفره لحوادث يهوذا المكابي هذا (دا ١٢ : ١٣)

هذا وقول زكريا (وينوحون عليه كنائح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) الى قوله ١٤ (كل المشائر الباقية عشيرة عشيرة على حدتها) يؤيد تفسيرنا هذا وأنه في حق يهوذا لا في حق المسيح فان الذين طعنوه وهم عسكر الرومان (يو ١٩ : ٣٤) لم ينوحوا عليه في ذلك اليوم ولا عشائر اليهود الذين تسببوا في صلبه. أما

يهوذا فقد ناحوا عليه كثيرا كما تقدم في سفر المكابيين ، ويؤيد قولنا أيضا قوله قبل هذا ١٢ : ٢ (وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) فانه لا ينطبق على المسيح فان أورشليم لم تكن محاصرة بجيوش حينما كان المسيح عليه السلام فيها ولم يكن ثم حرب .

ثم قال زكريا في الاصحاح الثالث عشر ١٣ : ١ (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية وللنجاسة) الى قوله (اضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يدي على الصغار) فالمراد بالراعي هنا (يوناثان) أخو يهوذا المكابي الذي تولى بعده .

ولما قتل يهوذا دخل جيش الملك ومعه اليهود المنافقون ونجسوا المدينة وكان رئيسهم (السكيمس) فظلم اليهود الصالحين وأمر بهدم حائط بيت المقدس فلذلك قال (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطيئة والنجاسة) ثم أصيب (السكيمس) بفالج ومات فرحل الجيش وتولى يوناثان أخو يهوذا ودخل المدينة وطهرها وأزال عبادة الاصنام كما قال زكريا ١٣ : ٢ (إني أقطع أسماء الاصنام من الارض) ثم قتله قائد يسمى (تريفون) بالخديعة وأخذ من أخيه (سمعان) مئة قنطار من الفضة وولدي (يوناثان) أيضا كما في سفر المكابيين ولما قتل تشتت جيشه وحصل لليهود رعب شديد وفزع ثم جمعهم (سمعان) أخوه وشجعهم واستأصل كل اثيم شرير من اليهود المنافقين (مكابيين أول ١٤ : ١٤) وانتهت عبادة الاصنام من بينهم فهذا هو معنى قول زكريا (استيقظ ياسيف على راعيّ . . . . . إضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يديّ على الصغار (ولدي يوناثان) ويكون في كل الارض (أي أرض إسرائيل) أن الثلثين منها يقطعان (وهم الاشرار الذين قتلهم سمعان) ويموتان والثلث يبقى فيها) وبعد سمعان لم تعد اليهود لعبادة الاصنام فلذلك قال في آخر هذا الاصحاح (زك ١٣ : ٩) هو (أي شعب اسرائيل) يدعو باسمي وأنا أجيبه . أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي) فهذان الاصحاحان لا علاقة لهما بالمسيح عليه السلام البتة ولا ينطبقان عليه . وهل المسيح كان له ولدان فأسرا حتى يقول (وأرد يدي على الصغار) ؟ وهل مات بالسيف مع أنه ماضرب بالحربة إلا بعد موته ؟ (يو ١٩ : ٣٣ و ٣٤) فما بالهم يريدون أن

يجعلوا كل شيء رمزا لدينهم ولو بالقوة وان خالفوا اللغة والتاريخ والعلم والعقل والدين ؟؟

(برهانهم الخامس) قال متى في انجيله ٢٧ : ٩ (حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل واخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل) فادعى متى وادعوا تبعا له أن الانبياء أخبروا أن المسيح سيباع بثلاثين من الفضة وهذه النبوءة لا يوجد لها أثر في كتب العهد العتيق اللهم إلا في كتاب زكريا (لا أرميا) فانه يوجد بعض ألفاظ تشبه هذه العبارة (١١ : ١٢ و ١٣) ولكن لا علاقة لها بالمسيح وانما النصارى كما قلنا مرارا يخترعون من الحوادث للمسيح ما يمكنهم أن يطبقوه على عبارات العهد القديم ليوهموا الناس أن الانبياء السابقين أخبروا بجميع أحوال المسيح حتى موته وصلبه وألوهيته المزعومة وفي هذه العبارة كما في غيرها لم يحسنوا التلفيق فأخطأوا وذكروا اسم أرميا وكان الاولى أن يحسنوا السبك ويذكروا زكريا بدله وان كان كل من العبارتين مختلفا لفظا ومعنى

(برهانهم السادس) جاء في سفر الاعمال ٢ : ٣١ أن داود أنبأ عن قيامة المسيح (من الموت بعد الصلب) بقوله (انه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فسادا) يشير بذلك كاتب هذا السفر الى المزمور السادس عشر الذي قال فيه داود عليه السلام ١٦ : ٩ (لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي . جسدي أيضا يسكن مطمئنا ١٠ لانك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا ١١ تعرفني سبيل الحياة - الى قوله - في يمينك نعم الى الابد) وظاهر أن داود في هذا المزمور يتكلم عن نفسه . ولفظ (الهاوية) هنا أصله العبري (شاول) وهو اسم علم لدار الموتى سواء كانوا في سعادة أو في شقاء ولذلك قال يعقوب لبنيه حينما أرادوا أخذ بنيامين منه تك ٤٢ : ٣٨ (إن أصابته أذية في الطريق تنزلون شيبتي بحزن الى الهاوية)

وعليه فمعنى هذا المزمور أن جسد داود يسكن بعد الموت مطمئنا لانه يعلم أن الله لن يتركه ميتا الى الابد بل سيرد روحه اليه من عالم الارواح (شاول) و يبعثه يوم القيامة للحياة الباقية فيخرجه من دار الموتى الى نعيم الجنة

وأما قوله (لن تدع تقيك يرى فسادا . تعرفني سبيل الحياة) فالكلمة

المترجمة هنا (بفساد) تفيد ايضا معنى (القبر) والمراد بها المعنى المجازي أي مكان الموت المعنوي وهو البعد عن الله فكأنه قال (إنك لن تدعني يا الله أرى مكان الموتى وهم الضالون الاشرار بل ستهديني إلى معرفتك التي بها الحياة الأبدية وتعصمني من الاقتراب منهم) فلهذا ولاعتقادي بالبعث والنشور أراني مطمئنا وسيسكن جسدي بعد موتي مستريحا واثقا بوعدك لي بالنعيم الخالد فلذا أحمدك وأشكرك لأنك نجيتني من الموت (الموت الادبي الروحاني) وذلك مثل قوله في مزمور آخر ٥٦ : ١٣ (لانك نجيت نفسي من الموت . نعم ورجلي من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الاحياء (أو الحياة) فالبعد عن الله هو الموت وهو الموصل للقبر ومعرفته تعالى هي الحياة الباقية . قال المسيح عليه السلام يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وقال يو ١١ : ٢٦ (كل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الابد) وقال أيضا يو ٦ : ٤٧ (من يؤمن بي فله حياة أبدية) فهذه الاقوال كلها هي كقول داود (لن تدع تقيك يرى فسادا (أو قبرا) . تعرفني سبيل الحياة) إذ أن من عرف الله وآمن به واتقاه لا يرى الفساد ولا الشر وينجو من الموت النفساني ويبتعد عن مأوى الاشرار الفجار الذين ماتت نفوسهم فيحيا إلى الابد (كما قال المسيح عليه السلام) حياة طيبة مع الاطهار الابرار بعيدا عن مواطن السوء والشر والفساد (راجع أيضا متى ٦ : ١٣ ويو ١٧ : ١٥) قال الله تعالى في القرآن الشريف (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟)

أما اذا أصر النصارى على أن المراد بعبارة داود هذه الحقيقة لا المجاز وترجمت هكذا (لن تدع تقيك يرى قبرا) كانت منافية لقوله قبلها مز ١٦ : ٩ (جسدي أيضا يسكن مطمئنا) أي في القبر فان ذلك يعين أن ماجاء بعد من عدم رؤية القبر يراد به قبر موتى النفوس البعيدين عن الله (أي القبر المعنوي) فان المؤمن لا يموت أبدا وليس المراد القبر الحقيقي والا فان داود والمسيح عليهما السلام قد رأيا القبر ودفنا فيه وبقي المسيح فيه ثلاثة أيام - كما يقولون - ومن راجع المزامير كلها علم أن المجازات فيها

ربما كانت أكثر من الحقيقة واني لاعجب لماذا يريد النصارى حمل كل ما جاء في العهد القديم على المسيح ولو كان بعيدا عنه حتى مج الانسان سماع هذه الاستشهادات منهم !! لكنني أتذكر فأقول : انهم لو وجدوا لدينهم دلائل غيرها لما تهافتوا عليها تهافت الظمآن على السراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئا

فهذه هي براهينهم على الصلب من العهد القديم وقد انهارت جميعها على أسسها . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

﴿ الفصل الثاني ﴾

« في ابطال ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح من العهد القديم »

نبدأ هذا الفصل بالمقدمة الآتية ثم نتبعها بالكلام على شواهدهم التي يتمسكون بها من العهد القديم

المقدمة — لا يخفى أن اليهود من عهد موسى عليه السلام الى زمن المسيح كانوا دائما يميلون الى الوثنية فمع ظهور آيات الله تعالى لهم العظيمة ومع كثرة أنبيائهم وشدة نهيهم لهم عن الشرك وعبادة غير الله نراهم كثيرا ما ارتدوا وعبدوا الاصنام وقربوا قرابينهم لمولك ولعشتورث ولكموش (١ مل ١١ : ٣٣) (١) وسجدوا لها وعبدوا في زمن موسى العجل الذهبي وغير ذلك كما تشهد به كتبهم . ولعل منشأ حب الوثنية في قلوبهم وجودهم أزمنة طويلة بين الوثنيين الذين كانوا في كثير من الاوقات سادات لهم في مصر وبابل والذين تغلبوا عليهم في أرض كنعان والمغلوب يميل عادة لتقليد غالبه ويعجب بما عنده من مظاهر الأبهة والعظمة والجمال . فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس (اليهود) الذين أشربوا في قلوبهم حب الوثنية من قديم الازمان أن يقولوا في مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه و يظنون أنه سيكون ملكا عظيما ينصرهم على جميع الامم ويخلصهم من ظلم أعدائهم ومن سلطانهم عليهم ويجعلهم سادة الارض ويكون دينهم أبديا كما قالوا في الختان (تك ١٧ : ١٣) وفي مواسمهم وقرابينهم (راجع الاصحاح الثالث والعشرين

(١) مولك اسم اله للعمونيين، وكان من نحاس جالسا على عرش من نحاس وعشتورث الهة الصيدونيين وكموش اله المؤابيين

من سفر اللاويين) وكما قالوا في ملك سليمان إنه باق الى الابد (١) (٢ صمو ٧ : ١٢ — ١٦ وأخبار الايام الاول ٢٢ : ١٠) فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس الذين علمت ميلهم للوثنية وأوهامهم وخيالاتهم في ملكهم وأمتهم ودينهم أن يقولوا في مسيحهم هذا إنه أعظم المخلوقات وأن الله تعالى خلقه قبل كل شيء وبه عمل كل شيء وأنه صيره إلها وأن ملكه سيبقى إلى الابد وأنه سيدين الخلائق جميعا يوم القيامة الى غير ذلك من هذه الاحلام اللذيذة والخيالات الجميلة التي كانوا يقولون نحوها حينما يرتدون في معبوداتهم التي عبدوها مرارا من دون الله مع كثرة نهي موسى والانبياء لهم عن الشرك والوثنية (راجع الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية وغيره)

فلما جاء المسيح عليه الصلاة والسلام نمت هذه العقائد في قلوبهم وحاول كثير ممن آمن به عليه السلام عبادته فكان يحارب هذه الافكار بمثل قوله في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . إذهبوا عني يافاعلي الاثم) وقوله مر ١٣ : ٣٢ (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا لابن الا الآب) وقوله يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح

---

(١) حاشية يقول النصارى ان ذلك اشارة الى المسيح عليه السلام لانه أتى من نسل سليمان . ونقول ان من راجع نسب المسيح عليه السلام كما في انجيل لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨ اتضح له أن المسيح من نسل ناثان بن داود لا من نسل سليمان فكيف يكون هو المراد بتلك العبارة ؟ وقد قالوا لرفع الخلاف الذي بين متى ولوقا في نسب المسيح أن ما ذكره لوقا هو نسب أمه مريم عليها السلام فهو نسبه الحقيقي أما ماذكره متى فهو نسب يوسف النجار ولا يخفى أن يوسف ليس بأب المسيح وعليه فلا يكون المسيح عليه السلام من نسل سليمان الا بالادعاء من غير برهان وان كان يوسف النجار هذا من نسله كما في انجيل متى (١ : ٦) الا أن يوسف هو زوج مريم فقط وليس هو أبو المسيح عليه السلام ولا ندري لماذا ذكر لوقا الآباء الحقيقيين لبعض جدود مريم تارة والآباء الشرعيين كما يقولون للجدود الآخرين ؟ ولماذا لم يجر على طريقة واحدة كمتى فيذكر اما الآباء الحقيقيين كلهم أو الآباء الشرعيين ؟ وهل وجود ابن حقيقي للاب الشرعي يسوغ اهمال لوقا ومتى لذكره مع ذكر لوقا لبعض من لا ولد حقيقيا له لهذا السبب كما يدعون لرفع تناقضهما واختلافهما العظيم ولم يخجلوا من هذا الاضطراب والتضارب !!!

الذي أرسلني) وزجره لمن ناداه بقوله (أيها المعلم الصالح) فقال كما في متى ١٩ : ١٧ (لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) وقوله مر ١٢ : ٢٩ (الرب إلهنا رب واحد) وقوله متى ٢٢ : ٤٠ (بهاتين الوصيتين (أي محبة الله ومحبة القريب) يتعلق الناموس كله والأنبياء) وتسمية نفسه في أكثر الاوقات (بابن الانسان) إشارة إلى أنه إنسان مثلهم وقوله يو ٢٠ :١٧ (اني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) أي إن الله أب له كما هو أب لهم وإله له كما هو إله لهم إلى غير ذلك من أقواله الشريفة التي أبقاها الله تعالى في الاناجيل إلى اليوم حجة ناهضة على النصارى، ولكن الناس في زمنه وبعده أبوا إلا أن يعبدوه من دون الله وإن رفض تواضعا منه أن يسمى صالحا وأولوا جميع أقواله هذه وغيرها بالتعسف والتكلف البارد الذي نسمعه اليوم من النصارى في هذه الاقوال الصريحة . وأي كلام لا يمكن تأويله بمثل هذه التأويلات السخيفة ؟ !

فاليهود الذين تنصروا حملوا إلى المسيحية وثنيتهم القديمة رغما عن جميع أقوال المسيح عليه السلام نفسه وتعاليمه وأولوها حتى أخرجوها عن معانيها الحقيقية الظاهرة منها ظهور الشمس في رابعة النهار

والذي يدلك على ميل اليهود في ذلك الوقت لهذه الافكار الوثنية قول يوسيفوس مؤرخهم الشهير في حق المسيح ما يأتي إذا صح أن النصارى لم يحرفوا كلامه (كما حرفوا غيره) على ما يقول كثير من فلاسفة العلم في أوربا اليوم . فمع أن يوسيفوس ما كان يعتقد صدق المسيح عليه السلام قال ما يأتي عنه في تاريخه القديم كتاب ١٨ فصل ٣ رأس ٣ (ونحو هذا الوقت نشأ يسوع إنسان حكيم إذا صح أن ندعوه إنسانا لأنه عمل أمورا عجيبة وكان معلما الجماعة قبلوا الحق بسرور وصار له مصدقون كثيرون من اليهود واليونانيين) (١) فانظر وتأمل ! وقد ساعد اليهود على هذه الافكار وجودهم في ذلك الوسط الوثني وسط الرومانيين ووسط الفلسفة اليونانية وغيرها وانتشار مثل هذه العقائد بين جميع الامم الاخرى

لحمل الذين تنصروا منهم في ذلك الزمن إلى دينهم الجديد أفكارهم القديمة في

(١) راجع الفصل الثالث من كتاب دين الله وسينشر في الاعداد الآتية

مسيحهم المنتظر وغلوهم فيه فقالوا إنه أفضل جميع المخلوقات وأنه خلق قبل العالمين (وهو بكر الخلائق) وأن الله خلق الخلق بواسطته وأنه صيره إلها مثله وأنه سيأتي ويدين الخلائق بدلا عن أبيه إلخ إلخ وهذه الافكار هي التي نقرؤها في الاناجيل المتأخرة (كانجيل يوحنا) وفي رسائل بولس أعظم اليهود المتنصرين في مبدإ المسيحية بل مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي تأمل في الاصحاح الاول مثلا من رسالته الى العبرانيين وفي قوله فيها ١ : ٤ (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم .) وفي رسالته الى أهل كولوسي (١: ١٥ - ١٧) فالظاهر من أقوالهم في تلك الايام أنهم كانوا يعتقدون أن المسيح لم يكن مساويا لله تعالى في الدرجة والمقام والجوهر بل مخلوقا منه قبل جميع الخلق (أي بكر كل خليقة كما قال بولس) وأقل درجة منه تعالى وهو الذي وهبه كل شيء حتى جعله بارا و إلها للعالمين كما جعل موسى إلها لفرعون على ما يقول سفر الخروج (٧ : ١) فلم تكن عقائد ألوهيته الأصلية الأزلية ولا عقائد التثليث ناضجة في اذهانهم كما هي اليوم ولذلك لا تجد بيانا مفصلا شافيا لهذه العقائد في العهد الجديد

هذه هي أفكار اليهود القدماء التي أدخلوها في المسيحية وكانت نشأت فيهم قبل وجود عيسى عليه السلام بسنين لاجل مسيحهم الذي ينتظرونه . ثم شبت ونمت حتى بلغت أشدها في زمن بولس وشابت وهرمت بعده فقال أكثرهم : إن المسيح مساو لله تعالى في الجوهر والمقام، وأنه هو هو، وبقي الآخرون على عقائدهم القديمة في عدم المساواة وقام منهم فرق عديدة ورؤساء لهم كآريوس وغيره مؤيدين كلامهم بمثل قول بولس : أفسس ١ : ١٧ - ٢٢ (كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته - الى قوله - ٢٠ الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الاموات وأجلسه عن يمينه في السماويات - الى قوله - ٢٢ وأخضع كل شيء تحت قدميه واياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة) وقول بطرس أع ٢ : ٢٢ (يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون)

ولكن فاز الفريق الاقوى والا كثر على الفريق الاقل لميل النفوس الى الغلو والمبالغة ولانتشار الوثنية في العالم . وبقي الاقلون الذين لا يعتقدون في مساواة المسيح بالله إلى أن جاء الاسلام فراق لهم وأعجبهم فدخلوا فيه أفواجاً أفواجاً واستمر فريق منهم في أوربة الى اليوم ولكنهم بثوا أيضا في نفوس بعض الغلاة من المسلمين شيئا من أفكارهم القديمة فجعلوا محمدا صلى الله عليه وسلم مخلوقا قبل كل شيء ولأجله خلق كل شيء ومن نوره (١) خلق كل شيء كما كانوا يقولون مثل ذلك في المسيح من قبل ولولا أن نصوص الاسلام أصرح وأكثر من نصوص غيره في التوحيد والتنزيه - ولولا ارتقاء البشر في زمنه عمن سبقهم في العقل والفكر لعبد محمد صلى الله عليه وسلم من دون الله كاعبد غيره من الانبياء والمصلحين وغيرهم ولدخل المسلمون في عين جحر الضب الذي دخله من قبلهم

وعليه فاذا وجد في كتب اليهود ألف نص ونص على ألوهية بعض البشر أو مساواتهم لله تعالى في الازلية لما قبل منهم ولعلمنا أنه مما أدخلوه في عقائدهم ومما أفسدوه في دينهم

ولما وجد اليهود أن النصارى يتمسكون به عليهم لاقناعهم بدينهم وبمسيحهم ترك اليهود هذه الافكار القديمة في المسيح المنتظر شيئا فشيئا حتى محيت من بينهم نقريبا وأنسيت من أفكارهم ولم يبق لها الا آثار قليلة في بعض كتبهم القديمة وهذه الآثار هي التي يريد النصارى إقناع المسلمين بها اليوم

على أنها غير صريحة وليست نصا في الموضوع ويمكن تأويلها بنفس أقوال كتبهم الاخرى بدون تكلف ولا تعسف كما يفعلون هم في أقوال المسيح عليه السلام في التوحيد والتنزيه

وإذا سألت النصارى : لماذا لم تذكر عقيدة التثليث والتجسد والفداء في كتب أنبياء بني اسرائيل صراحة ؟ أجابوك لعدم استعداد البشر لها في تلك الازمنة . ونقول : قد أثبت العلماء الباحثون وجود مثل هذه العقائد تماما عند أكثر الامم

(١) حاشية : قال ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في الجزء الثاني صفحة ١٩٨ ان جميع هذه الاحاديث الواردة في خلق العالم من نور النبي (كلها كذب) ولا يخفى على أحد علم ابن تيمية في الحديث

الوثنية القديمة إن لم نقل كلها (راجع كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهل وصل إليها الناس بالعقل أم بالوحي ؟ فان كان الاول فما عدم الاستعداد إذا ؟ وإن كان الثاني فلم أوحيت إلى الناس كافة ولم توح إلى شعب إسرائيل ـ شعب الله المختار المفضل على العالمين ؟ ! وما معنى هذا الاستعداد ؟ هل كان الناس غير قادرين على فهم هذه العقائد ثم فهموها مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبداً ! ! فان قالوا : إنها أوقعت قديما كثيرا من الناس في الشرك الحقيقي فلذا لم توح إلى بني إسرائيل . قلت وهل سلمت اليهود من الشرك والوثنية وهم الذين عبدوا كثيرا من آلهة الكفرة والمشركين مع صراحة التوحيد في كتبهم وكثرة نصوصه ؟ وهل سلم النصارى من الشرك والوثنية وفيهم من عبد مريم العذراء والصليب والقديسين والقديسات ؟ وهم جميعا إلى الآن يعبدون المسيح كله مع قول جمهورهم إنه إنسان كامل وإله كامل وهم مع ذلك يعبدون الثالوث المركب من الآب والابن والروح القدس مع تصريحهم بأن الآب هو الاصل وأن الروح القدس أنبثق منه والابن انبثق من أحدهما او كليهما (على رأي آخرين) . وما الفرق بين عبادة الثلاثة على أنها أقانيم و بين عبادتها على أنها ثلاثة آلهة ؟ وما الفائدة من التوحيد إذا ؟؟

الحق أن جميع الامم القديمة قالوا بهذه العقيدة (الثالوث) للجمع بين التوحيد الذي أوحي إليهم من الله و بين الشرك الذي لم يمكنهم أن يتصوروا وجود إله للعالم بدونه لقصر عقولهم واستبعادهم أن يدبر هذا الكون العظيم إله واحد ، ومثل هذا السبب قد أوقع النصارى في نفس هذه العقيدة للجمع بين النصوص التي رأوها متناقضة في العهد الجديد . أما العهد القديم فدلائل التوحيد فيه بينة ظاهرة في جميع أسفاره من أولها إلى آخرها

واليك جميع الاقوال التي يتمسك بها النصارى من كتب اليهود على ألوهية المسيح و بيان معناها وهي التي تركوا لاجلها نصوص المسيح عليه السلام الفصيحة الصريحة ونصوص جميع الانبياء الآخرين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الشواهد من العهد القديم

(١) جاء في كتاب أشعيا ما يأتي ٩: ٦ (لانه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرئاسة على

كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام ٧ لنمو رئاسته وللسلام لانهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها و يعضدها بالحق) إلخ فاذا صح أن هذا الكلام في حق المسيح فهو من أوهام اليهود في مسيحهم الذي ظنوا أنه سيجلس على كرسي داود الى الابد كما قالوا في سليمان على ما تقدم . على أن تسميته (إلها) قد ورد مثلها في حق موسى عليه السلام كما في سفر الخروج ٧ : ١ (فقال الرب لموسى أنظر . أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك) وورد في المزمور الثاني والثمانين ٦(أنا قلت انكم آلهة و بنو العلي كلكم) ثم ان اللفظ المترجم بإله هنا في الاصل العبري يحتمل معنى (القوي أو الجبار) وفي النسخة اليونانية لاسكندرانية بمعنى القوي ولا وجود له هنا في النسخة السبعينية . ويقول اليهود الآن : ان المراد بهذه العبارة هو حزقيا ومعنى حزقيا (قوة الله) وهو من أعظم ملوك اليهود وممدود بين الملوك الثلاثة الذين كانوا من أحسن ملوك يهوذا وهم يهوشافاط وحزقيا و يوشيا .ويقول المسلمون إن عبارة أشعياء هذه هي بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي جلس على كرسي داود في الأرض المقدسة للآن وهو أب أبدي للمؤمنين رئيس السلام لغير المعتدين (راجع فصل البشائر) وعلامة ملكه على كتفيه وهي المسماة في كتب الحديث « بخاتم النبوة » واسمه (محمد) لم يكن معتادا بين العرب قبله وهو قوي منصور وجميع هذه الصفات لا تنطبق على المسيح مثل انطباقها على محمد صلى الله عليهما وسلم

وقوله (يولد لنا ولد) معناه على هذا أنه يولد لهم ولد من اخوتهم بني اسماعيل فان أبناء العم هم أخوة ومن وُلد لنا فقد ولد لهم فكأن بني اسماعيل و بني اسحاق أسرة واحدة أو أهل بيت واحد فاذا ولد لاحدهم ابن فهو مولود للجميع وأبو الكل ابراهيم عليه السلام(تك ١٧ : ٤ انظر أيضا عدد ٢٠: ١٤ وتث ٢ : ٤ وتك ١٦ : ١٢و٢٥ : ١٨)

سلمنا جدلا أن هذه العبارة في حق المسيح عليه السلام وأن الناس ستدعونه (إلها قديرا) وقد وقع ذلك بالفعل فأي دليل فيها على صحة ألوهيته ؟ غاية الامر أن أشعياء عليه السلام قد أخبر بقدره وعظمته حتى أن الناس سيتخذونه إلها وان

لم يكن إلها حقيقيا ولذلك قال (يولد لنا . ونعطى . ويدعى اسمه كذا ..... وغيرة رب الجنود تصنع هذا) فالمولود والمعطى (بالفتح) والذي صنعه رب الجنود لايكون إلها وان دعاه الناس بهذا الاسم فان قيل: لماذا لم ينبه أشعياء بأ كثر من ذلك على عدم ألوهيته قلت ان المقام مقام تنبؤ واخبار بما سيحدث لامقام تحذير من الوثنية فلذا اكتفى بما ذكر ولعله أن كتابه وسائر كتب العهد القديم قد حذرتهم من عبادة غير الله وملئت صفحاتها بذلك وخصوصا سفر الثنية (٥: ٧- ٩و١٣: ١-٥ ٤: ١٥-١٩وغير ذلك كثير راجع أيضا أصحاح ٤٥ و٤٦ من سفر أشعياء)

أما قول اشعياء في العدد السابع من هذا الاصحاح انه سيجلس على كرسي داود الى الابد فالنصارى أولى بتأويله منا فانه لم يجلس على كرسي داود ولاساعة واحدة في الدنيا وان كان المراد به ملكه الروحاني كما يعبرون (أي تسلطه على النفوس) فنحن لاننكره بل قال كتابنا الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) فهو وان بقي جالسا على كرسي داود المعنوي الى الابد الا أنه سيكون مع ذلك تابعا لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ لامنافاة بين هذا وذاك و يجوز أن نقول في هذه العبارة مثل مايقولون هم في وعد الله لسليمان بتثبت ملكه الى الابد (١ أيام ٢٢: ١٠) وفي بقاء أورشليم عامرة الى الابد (أرميا ٣١ : ٤٠) انذلك مشروط باستقامة بني اسرائيل وحفظهم لعهدالله وشريعته كما في سفر أخبار الايام الثاني (٧: ١٨ - ٢٢) فزوال الملك من اليهود وعدم تملك المسيح عليهم وعدم دوام ملكه الدنيوي فيهم الى الابد وخراب أورشليم انما نشأ من كفرهم وعصيانهم وخروجهم عن طاعة الله فلو أنهم آمنوا به واتبعوه لبقي ملكهم الدنيوي الى يوم القيامة وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لايزيل منهم هذا الملك بل يقويه و يعززه بوجود مُلك آخر عظيم لاخوانهم بني اسماعيل (١) ويكون الجميع يدا واحدة على كل عدو لهم قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل

(١) حاشية : هم الذين قالت عنهم التوراة تث ٣٢: ٢١ (فأنا (الله) أغيرهم بماليس شعبا بأمة غبية أغيظهم) وهم أمة غبية لجهلهم وأميتهم وقتلة الانبياء فيهم وقال عنهم المسيح لليهود كما في متى ٢١ : ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره)

وما أنزل اليهم من ربهم (اي القرآن) لأ كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اي لفاضت عليهم الخيرات والبركات ، من الارض والسموات

(٢) قول أشعياء ٣٥ : ٤ (قولوا لخائفي القلوب تشددوا . هوذا إلهكم . الانتقام يأتي . جزاء الله . هوذا يأتي ويخلصكم) وهذه نبوءة بخلاصهم من أسر بابل بدليل قوله في آخر هذا الاصحاح ١٠ (ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون) أي أورشليم واتيان الله كناية عن مجيء عذابه لأعدائهم ورحمته لهم وخلاصهم وقد ورد مثل هذه الكناية كثيرا في الكتب المقدسة (مزمور ٧٨ : ٦٥ ـ ٧٠) و (أشعيا ١٩ : ١ و١٣:٤٢ و٤٥ : ٢١ و٤٠ : ١٠) و(تث ٣٣ : ٢) و ورد في القرآن الشريف قوله تعالى(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور) . ومما يدل على أن عبارة أشعياء هذه ليست في المسيح أن المسيح لم يأت بالانتقام والجزاء بل هو الذي أخذ وصلب وقتل ـ على قولهم ـ

على أننا لا ننكر ان المسيح صلى الله عليه وسلم جاء ليخلص اليهود وينقذهم من الآثام والعصيان والكفر والضلال بالتوبة والايمان والهداية . ولو أنهم تركوا أعمالهم السيئة وآمنوا به جميعهم واتبعوه واهتدوا بهديه لخلصوا أيضا من الذل والهوان وتسلط الأمم الأجنبية عليهم ولصارت لهم دولة عظيمة برأسها عيسى (يسوع) عليه السلام . ولعل في اسمه (يسوع) أي المخلص والمعين والمنقذ إشارة إلى ذلك وإن كان اسما شهيرا سمي به كثيرون من اليهود قبله و بعده تفاؤلا به للخلاص مما هم فيه من البلايا والمحن والمصائب

(٣) قول أشعياء ٧ : ١٤ (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) أي «الله معنا» والكلمة المترجمة هنا بالعذراء معناها الفتاة سواء كانت بكرا أو غير بكر وكذلك وردت في سفر الامثال ٣٠ : ١٨ و١٩ (ثلاثة عجيبة فوقي وأربعة لا أعرفها، طريق نسر في السموات ، وطريق حية على صخر ، وطريق سفينة في قلب البحر ، وطريق رجل بفتاة) فصحة الترجمة (ها فتاة تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) وهي بشارة لآحاز أن ملك (رصين) ملك آرام (وفقح) ملك اسرائيل سيزولان فلا يحق له أن يخاف منهما

وعلامة ذلك أن فتاة تحبل وتلد ابنا وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر فخربت أرض (فقح) بعد احدى وعشرين سنة . واختلفوا فيمن هي هذه الفتاة ؟ فقال بعضهم : إنها امرأة أشعياء وقال آخرون : إنها امرأة آحاز أو امرأة أخرى كانت معلومة لهم ولذلك قال أشعياء بعد هذه العبارة ٧ : ١٦ (لانه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الارض التي أنت خاش من ملكيها) راجع الأصحاح السابع من سفر أشعياء، فأي علاقة لهذه المسألة بالمسيح ومتى سمي المسيح (عمانوئيل) ؟

فالحق يقال إن متى الانجيلي أخطأ في زعمه أن هذه نبوءة عن المسيح كما في إنجيله ١١ : ٢٣)

وعلى فرض أنها في المسيح فالمسلمون لا ينكرون أن أمه كانت عذراء لم يمسسها بشر (١) وأما اسم (عمانوئيل) فهو علم عبري دعي به كثير من اليهود والنصارى فليس من يسمى به يكون إلها كما لا يكون إلها من سمي بالاسماء الاتية : أشعياء (أي خلاص الله) يهوشافاط (الله يقضي) يهوصاداق (الله يبرر) يهوشع (الله يعين) يهوه شالوم (الله سلام) يهوياداع (الله يعلم) يسوع أو عيسى (الله يعين) أليشع (الله خلاص) إلى غير ذلك من أسماء اليهود التي فيها لفظ الجلالة (الله) فهل كان كل هؤلاء آلهة لانهم تسموا بهذه الاسماء ؟ إن أمر النصارى والله لعجيب

(١) حاشية : اسم أبي مريم في القرآن الشريف هو عمران وهو تعريب اسمه العبري (عمرام) الذي معناه (شعب عال) فهو يفيد معنى العلو أو السمو . ويسمى في انجيل لوقا (٣ : ٢٣) (هالي) ومعناه أيضا (عال) وهذا الانجيل يوناني الاصل فالظاهر أن صاحبه سمى أبا مريم بمعنى اسمه لا بلفظه الاصلي . ويوجد في كتب العهدين كثير من اسماء الاعلام التي لم تنقل كما هي من لغاتها بل ترجموها ترجمة ففي الترجمة العربية لسنة ١٨٤٤ تجد لفظ (شيلون) (تك ٤٩ : ١٠) مترجما (بالذي له الكل) وفقا للترجمة اليونانية مع انه اسم علم ولذا بقي في التراجم الحالية كما هو

وكما ابدلت في العربية ميم (عمرام) نونا فصارت (عمران) كذلك في الانكليزية كثيرا ما يبدلون ميم اللغات الاخرى بالنون . مثال ذلك Collodium و Ectropium اليونانيتان صارتا في الانكليزية Collodion و Ecotrpion وغير ذلك كثير

فهذه يا قوم احدى غلطات القرآن في عقل صاحب كتاب الهداية المنصف المحقق !! هداه الله قبل أن يهدي غيره

(٤) قال متى ٢ : ١٥ (وكان هناك أي في مصر) إلى وفاة هيرودس . لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل (من مصر دعوت ابني) والنبي المشار إليه هنا هو (هوشع) الذي قال ١١ : ١ (لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني) ومعنى هذه العبارة ظاهر لا يخفى على أحد إلا من أعماه الله وهو أن المراد منها بنو اسرائيل وخروجهم من أرض مصر وقد سواهم وغيرهم ابناء الله كما هو معلوم والظاهر من الاناجيل الاخرى أن المسيح لم يذهب إلى مصر وخصوصا انجيل لوقا الذي ذكر تاريخ المسيح بالتفصيل ولكنه لم يذكر هذه الحادثة بل قال ٢ : ٤١ (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح) فالغالب أن متى اخترع مسألة ذهابه إلى مصر ليلصق بالمسيح عبارة (هوشع) النبي كما هو شأنهم في تاريخ المسيح عليه السلام وقد أخذوا كل ما قيل عن خلاص اليهود من مصر ومن بابل وادعوا أنه رمز أو إشارة لخلاص البشر بصلب المسيح كما قلنا سابقا

وعلى فرض أن المسيح هو المراد بما قاله (هوشع) فأي شيء فيه يدل على ألوهيته مع أن اسرائيل (أي بنيه) قد سمي بالابن البكر في العهد القديم (خر ٤ : ٢٢) وكذلك افرايم (أر ٣١ : ٩) وداود (مز ٨٩ : ٢٧) فاذا لم يكن الابن البكر إلها فكيف يكون المسيح إلها لهذه التسمية

فان قيل إن المسيح سمي بالابن الوحيد في انجيل يوحنا (١ : ١٨ و ٣ : ١٦ و ١٨) قلت إن بحثنا الآن فيما ورد في كتب اليهود (العهد القديم) ما العهد الجديد فليسه النصارى فيه بما شاءوا وشاءت أهواؤهم على ان هذا الابن الوحيد (المسيح) قد سبق منذ زمن بعيد بالابن البكر (وهو عادة مُفَضَّل) فالمسيح وإن سمي في زمنه بالابن الوحيد لأنه كان اعظم إنسان حينئذ لكن كان لآلهتهم ابناء غيره سبقوا عيسى في الملك والوجود (كداود) . فالحق ان جميع هذه الاسماء مجازية لاحقيقية وهي لا تدل على الوهية احد منهم - هذا ولم يسم المسيح نفسه (بالوحيد) بل ذلك مما سماه به يوحنا - اما المسيح بحسب اناجيلهم فقد سمى نفسه (وغيره ايضا) بابن الله راجع ما قاله عليه السلام في هذا الموضوع في الاناجيل (يوحنا ١٠ : ٣١ — ٣٨ ومتى ٥ : ٩ و ٤٤ و ٤٥ ولو ٢٠ : ٣٦) (يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٣

(مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦)

كان القسيس (زويمر) رئيس (ارساليات التبشير العربية في البحرين) أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع ارساليات التبشير البروتستانية للتفكير في مسألة نشر الانجيل بين المسلمين

وفي سنة ١٩٠٦ أذاع اقتراحه وأبان الكيفية التي يكون بها فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث في (ميسور) من ولاية (أكرا) في الهند ـ لان هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الاسلامية لوجود مدرسة (عليكده) هناك ، ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذي ينعقد في مدينة (مدراس) الهندية كل عشر سنوات فأجاز عقده ، وان اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتبشير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعي وبديهي ـ لان مسلمي الهند أخذوا على عاتقهم منذ القرن التاسع عشر تعضيد السياسة الانكليزية للتغلب على الهندوس .

ولما تقرر عقد المؤتمر شرع القسيس (زويمر) وزميل له يعدان المعدات لتأليف لجنة مؤقتة تضع برنامج مذاكرات المؤتمر وتدعو المبشرين المنتشرين في كل البلاد للاشتراك به

وفي يوم ٤ إبريل من سنة ١٩٠٦ افتتح المؤتمر في القاهرة في منزل عرابي باشا

(*) نشرنا في الجزء الماضي طائفة من هذه المقالات وسنبدي رأينا فيها بعد تمام نشر ترجمتها في المنار

في باب اللوق و بلغ عدد مندو بي ارساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء ، وكان عدد مندوبي ارساليات التبشير الامريكية التي في الهند وسورية والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحدا وعشرين ، ومندوبو إرساليات التبشير الانكليزية خمسة ، واشتركت في المؤتمر الارساليات الاسكتلندية والانكليزية المنفردة والالمانية والهولندية والسويدية وارسالية التبشير الدانمركية الموجودة في بلاد العرب .

انتخب القسيس (زويمر) رئيسا للمؤتمر وعين معه نائب وكتبة وحددت أيام الجلسات . وهذا برنامج المسائل التي تفاوضوا فيها :

١ ملخص احصائي عن عدد المسلمين في العالم ٢ الاسلام في افريقية ٣ الاسلام في السلطنة العثمانية ٤ الاسلام في الهند ٥ الاسلام في فارس ٦ الاسلام في الملايو ٧ الاسلام في الصين ٨ النشرات التي ينبغي اذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ٩ التنصر ١٠ الارتداد ١١ وسائل اسعاف المتنصرين المضطهدين ١٢ شؤون نسائية اسلامية ١٣ موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الاسلام . وهذه الموضوعات جمعت على حدة في كتاب كبير اسمه (وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين) . ثم صنف القسيس زويمر كتابا جمع فيه شيئا من التقارير عن التبشير وسماه (العالم الاسلامي اليوم)

وسائل لتبشير المسلمين بالنصرانية

جمع هذا الكتاب ونشره القسيس (فلمنج) الاميركي وكتب عليه هذه الكلمة « نشرة خاصة » بمعنى انه طبع لينتقل في أيدي فئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل الناس . وقد ضمنه المباحث التي دارت في مؤتمر القاهرة واختتمه بنداءين انهض بأحدهما همم رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية ليستولوا على أهم الاماكن الاسلامية ، والنداء الثاني خاص بأعمال نسائية

أما الفصل الاول من هذا الكتاب فيبحث في الطريقة التي ينبغي انتهاجها في التبشير وعما اذا كان يفيد ضم ارساليات تبشير المسلمين الى ارساليات تبشير

الوثنيين أو تفضيل بقائهما منفصلتين وفيه البحث أيضا عما اذا كان الإله الذي يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود أم لا (!) وقد صرح الدكتور (ليسوس) في مؤتمر القاهرة بأن إلهالجميع واحد الا أنالقسيس (زويمر) خالفه فيهذا الرأي فقال : ان المسلمين مهما يكونوا موحدين فان تعريفهم لإلهم يختلف عن تعريف المسيحيين لان إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة !؟ (١)

---

(١) كنت قرأت في كتاب « الاسلام » لهنري دي كاستري ان مما يجب ان يقوله مسلم يتنصر عبارة معناها انه يكفر بإله محمد فظننتها كلة أثارها التعصب والتقبيح على دين يخالف دين واضعها وان فكرة الانتقام كانت مستولية عليه حين وضعها ولم أكن أفكر بأن يقول مثل (زويمر) في هذه الايام التي احتك فيها العالم بعضه ببعض وخصوصا من (كرس) نفسه (للكرازة) في الاسلامية ووقف على مايقوله المسلمون بإلههم وآله آبائهم الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام واذا كان معبود والهها انما تعرف صفاته من كتابها الذي تدين به

فهاك النصوص القرآنية على قداسته جل وعلا فمنها في سورة ٢ : ٣٠ « ونسبح بحمدك ونقدس لك » وس ٥٩ : ٢٤ « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام » الخ وس ٦٢ : ١ « يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم » وس ٢٠ : ١٢ فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس » وس ٧٩ : ١٧ « اذ ناداه ربه بالوادي المقدس » وس ٥ : ٢٤ « ياقوم ادخلوا الارض المقدسة » ومن المعلوم ان غير المقدس لا يعطي القداسة لان (فاقد الشيء لا يعطيه)

وأما المحبة فهاك بعض النصوص القرآنية عليها أيضا قال تعالى في س ٢ : ٢٢٢ « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وفي س ٣ : ٣١ « فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وس ٣ : ٧٦ « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » وس ٣ : ١٣٤ « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » وس ٣ : ١٥٩ « فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » وس ٥ : ٥٨ « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » الخ

هذا وان قداسة الله تعالى ومحبته مخلوقاته ومحبة المؤمنين اياه تعالى معلومة بالضرورة عند جميع المسلمين، ولكننا أتينا بهذه النصوص ليراها مثل (زويمر)

ثم اننا نسأل (زويمر) قائلين : هل تريد بالقداسة ان ينال الانسان الاول (آدم) اخص صفات الاله بمجرد أكله من تلك الشجرة كما جاء في التكوين اص ٣ : ٥ قول الحية لآدم وامرأته : بل الله عالم انكما يوم تأكلان منها (الشجرة) تنفتح أعينكما وتكونان كالله » وصدقها الله بذلك كما جاء في تك ٣ : ٢٢ « هوذا آدم صار كواحد منا » وهل من القداسة ان يحمله الخوف من ان يكمل آدم صفات الالوهية بأكله من شجرة الحياة كما جاء في تك ٣ : ٢٢ « والآن بمد يده فيأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا الى الابد » فيطرده من الجنة ويقوي الحرس عليها خوفا من رجوع آدم اليها ثانية وأكله من الشجرة تك ٣ : ٢٤ « واقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة شجرة الحياة » =

وفي الفصل الثاني والثالث بحث في الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام وذكر الوسائل التي يمكن استجلابهم بها وتحبيب المبشرين اليهم . وأهم هذه الوسائل العزف بالموسيقى الذي يميل اليه الشرقيون كثيرا . وعرض مناظر الفانوس السحري عليهم وتأسيس الارساليات الطبية بينهم . وأن يتعلم المبشرون لهجتهم العامية واصطلاحاتها نظريا وعمليا وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه . وأن يخاطبوا العوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم . ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن لا تتخلل خطاباته كلمات أجنبية عنهم وأن يبذل عنايته في اختيار الموضوعات وأن يكون واقفا على آيات القرآن والانجيل عارفا بمحل المناقشة وأن يستعين قبل كل شيء بالروح القدس والحكمة الالهية (!) ومن الضروري أن يكون خبيرا بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التي لا يعرفها الشرقيون (!)

ثم هل الرحمة بأن يحمل على آدم وامرأته وذريتهما ذلك القصاص الصارم بأن يأكلوا خبزهم من الحسك والشوك وان يلعن الارض بسببه ؟ تك ٣: ١٧ «وقال الرب الاله لادم لانك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة – الى قوله – ملعونة الارض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك » الى ١٨ و ١٩ وان يكثر أوجاع حواء وبناتها تك ٣ : ١٦ « وقال للمرأة تكثيراً أكثر اتعاب حبلك » الخ وكذلك قصاص الحية » تك ٣: ١٤ « وقال الرب الاله للحية لانك فعلت هذا ملعونة انت » الخ ثم انها لم تقل الاحقا فكان هذا القصاص لم يكن فيه شيء من الرحمة لاسيما وانه كان قصاصاً ابديا لان تلك الخطيئة (أكل ادم من الشجرة) لم تكن قابلة للغفران أصلا بدليل ان ذلك القصاص لايزال وانما مشاهدا في ذرية آدم والحية معا ولم يؤثر شيء من التجسد ولا نفعت تلك المصالحة في هذا الموضوع شيئا لان الرب الاله لم يجعل قصاصا لذلك الذنب غير لعن الارض وطرد آدم من الفردوس اليها ليعمل فيها بالتعب حيث تنبت له الحسك والشوك الخ وهذه الاشياء لاتزال دائمة حاصلة لم تتغير

النهم ازالها هذه قداسته وهذه محبته لما لايعبد اختيارا وانما يخضع له كما كان الناس ولا يزالون يخضعون للملوك القساة المستبدين الظالمين، وأي عاقل يحمد زويمر على الهه هذا ؟

ربما يقول زويمر بأن الهه انما هو اله العهد الجديد واننا نحوله حينئذ على كتاب «دين الله في كتب انبيائه » وكتاب « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » ليعلم منهما قداسة ومحبة آلهة كثيرين كالهه

هذا واننا نبرأ الى الله مما جرى به القلم في مجاراة ومجادلة هذا القسيس ليعلم العالم أن روح قسس العصور المظلمة التي أثارت الحروب الصليبية قد دخلت في أجسام هؤلاء الدعاة وانهم مهما علموا من فضل الاسلام فانهم لا يرجعون عن الافتراء عليه فهم ضالون على علم صالح مخلص رضا

وختم المؤلف هذين الفصلين بأن أكثر المسلمين الذين تنصروا انما هم من العامة والاميين .

وفي الفصل الرابع يأتي على ذكر الصعوبات التي تقف في سبيل تبشير المسلمين المتنورين . وهذه الصعوبات هي التي جعلت المؤتمر يترك المذاكرة في بادىء الامر بمسألة التنصير ـ خاض في البحث عن الوسائل التي يكون لها تأثير ـ ولو قليلا ـ على الناشئة الاسلامية لتدرك الامور الاجتماعية والاخلاقية والادبية .

وهنا قال سكرتير المؤتمر : ان الخطة العدائية التي انتهجها الشبان المسلمون المتعلمون اضطرت المبشرين في القطر المصري الى محاولة اعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات في موضوعات اجتماعية وأخلاقية وتاريخية لا يستطردون فيها الى مباحث الدين رغبة في جلب قلوب المسلمين اليهم . وأنشأوا بعد ذلك في القاهرة مجلة أسبوعية اسمها (الشرق والغرب) افتتحوا فيها باباً غير ديني يبحثون فيه بالشؤون الاجتماعية والتاريخية . وأسسوا أيضاً مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم في أثناء البيع . وقد مضى على ذلك ثلاث سنوات تسنى فيها للمبشرين أن يتوصلوا الى النتائج الآتية :

الاولى ـ أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم .

الثانية ـ أنهم حصلوا على ثقة بعض المسلمين بهم .

الثالثة ـ أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم في وداد المسلمين وميلهم الى ما تطمح اليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية ـ يمكنهم أن يدخلوا الى قلوبهم .

وبناء على هذا ساعد المبشرون الشبان المسلمين في تأسيس جمعية الغرض منها ايجاد صلة وتقرب بين الطبقة المتعلمة والطبقات المتعددة التي تتألف الامة منها وإنماء روح الاتفاق . هذه هي الطريقة التي استحسنها المبشرون بعد أن علموا أن الامور التي يتذرعون بها وتكون صبغتها دينية لا ريب أن عاقبتها الفشل . ولكن المبشرين الذين هم على شيء من الجرأة يقولون انهم سمموا بعض المسلمين

يشكون من الزواج في الاسلام وتعدد الزوجات وتربية المرأة وعدم وجود التسامح الديني (!)

وكل ما خاض فيه المؤتمر من هذه المباحث يختص بالمجهودات التي يبذلها المبشرون لتبشير الشبيبة الاسلامية التي تعلمت على الطريقة الاوروبية وفي مدارس الحكومة وما يلقونه من الصعوبات والفشل في تبشيرها .

أما الذين تعلموا على الطريقة الشرقية في الازهر وما يماثله فلم يتكلم أعضاء المؤتمر عنهم الابعض اقتراحات ونظريات - من ذلك أن أحد أعضاء المؤتمر أفاض في وصف ما للجامع الازهر القديم من النفوذ واقبال الالوف عليه من الشبان المسلمين في كل اقطار العالم . وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ الف سنة الى الآن . ثم قال ان السنيين من المسلمين رسخ في اذهانهم ان تعليم العربية في الجامع الازهر متقن ومتين اكثر منه في غيره والمتخرجون في الازهر معروفون بسعة الإطلاع في علوم الدين . وباب التعليم مفتوح في الازهر لكل مشائخ الدنيا خصوصاً وان اوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا لان في استطاعته ان ينفق على ٢٥٠ استاذا . ثم تساءل عما اذا كان الازهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر . وعرض اقتراحا يريد به انشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الازهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بالتفنن في تعليم اللغة العربية .

ثم قال ان في الامكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة وهي ان نخص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية اسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة في تنصير المسلمين الآخرين .

وختم كلامه قائلا : « ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيار مصر مركز عمل لنا لنشرع بانشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الاسلامية (!)

وفي الباب الخامس ذكر المؤلف ما دار في المؤتمر عن النشرات التي ينبغي للمبشرين اذاعتها لتنصير المسلمين . وقد ظهر للمؤتمر ان التوراة مترجمة الى معظم

اللغات الاسلامية واكثر لهجاتها ، اما اديات التبشير ومؤلفاته فترجمة الى اللغات الاسلامية المهمة فقط .

وقد اقترح احد المندوبين ان تراجم المؤلفات التي قدم عليها العهد لاصلاحها واستخدامها في تبشير المسلمين المتنورين الذين اقتبسوا علومهم في المعاهد العصرية مثل مدرستا كسفورد وبرلين، واشار الى وجوب تخفيف اللهجة في المجادلات الدينية.

وقال مندوب آخر : ان الحاجة شديدة الى نشر كتب في الموضوعات الدينية الآتية :

١ أسماء وألقاب المسيح التي في الاناجيل ٢ طبيعية الخطيئة الاصلية ٣ ضرورة الغفران ٤ الجنة وكيفية الحصول عليها ٥ الروح القدس واعماله ٦ عقيدة سر التجسد ٧ الانسان فرد اجتماعي وخالقه ليس كذلك ٨ وان الاله الاجتماعي يشمل الثالوث ٩ الشيطان وكيفية الخلاص منه

ارساليات التبشير الطبية :

خاض المؤتمر بعد ذلك في مسألة ارساليات التبشير الطبية فقام المستر (هاربر) وأبان وجوب الاكثار من الارساليات الطبية لان رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين . وهنا ذكر المستر هاربر حكاية طفلة مسلمة عني المبشرون بتمريضها في مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانية في باب اللوق وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد المسيح بالمعنى المعروف عند النصارى .

وذكر أيضا عن رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لاثارة الجلبة والضوضاء . واتفق انه مرض فدخل مستشفى المبشرين وبعد أن لبث فيه مدة شفي وخرج منه فصار يحضر المحاضرات في هذه المرة ولكن بخشوع زائد وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانيا على مذهب البروتستان .

ثم قام الدكتور هارس (طبيب ارسالية التبشير في طرابلس الشام) فقال : انه قد مر عليه اثنان وثلاثون عاما وهو في مهنته فلم يفشل الامرتين فقط وذلك عقب منع الحكومة العثمانية أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور اليه .

وأورد احصاء لزبائنه فقال ان ٦٨ في المئة منهم مسلمون ونصف هؤلاء من النساء وفي أول سنة مجيئه الى حيث يبشر بلغ عدد زبائنه ١٧٥ وفي آخر سنة كان عددهم ٢٥٠٠ وختم كلامه قائلا :

« يجب على طبيب ارساليات التبشير ان لا ينسى ولا في لحظة واحدة انه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك . »

وقام بعده الدكتور (نمباني) وذكر الصعوبات التي يلقاها الطبيب في التوفيق بين مهنتي التبشير والطب كما حدث معه هو . الا أن ما بذله من المجهودات قد أعانه على النجاح حتى تمكن من تأسيس مستشفى للتبشير من طريق الاكتتابات، وكان أول مكتتب لهذا المستشفى التبشيري رجلا مسلما !

وخطب الاستاذ (سمبسون) بعد ذلك في بيان فضل الارساليات الطبية . ومما قاله : ان المرضى والذين ينازعهم الموت بوجه خاص لا بد لهم من مراجعة الطبيب وحسن أن يكون هذا الطبيب (المبشر) في جانب المريض عندما يكون في حالة الاحتضار التي لا بد أن يلقاها كل واحد من أفراد البشر

ثم خطبت المس (اناوستون) فتكلمت عن ارسالية التبشير الطبية في مدينة (طنطا) قائلة ان ٣٠ في المئة من الذين يعالجون في مستشفى هذه الارسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء . أما طريقة التبشير في هذا المستشفى فهي أن يذكر الانجيل للمرضى باسلوب بسيط لا يدعو الى التطرف في المناقشة ، اذ المستشفى يجمع بين جدرانه نساء ورجالا .

الاعمال النسائية في التبشير :

كان لهذا الموضوع اهتمام كبير من أعضاء المؤتمر لانه خاص بنصف مسلمي العالم . فقالت المس (ولسون) ان النساء المبشرات يستعن في الهند بالمدارس وبالعيادات الطبية وزيارة قرى الفلاحين لينشرن النصرانية بين طبقات الناس .

وخطبت المس (هلداي) في حث المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة وتناوبت السيدات المبشرات الخطابة في أخبار نجاحهن في المناطق التي

اتدين للتبشير فيها . فقالت احداهن ان المسلمات الفارسيات يظهرن ميلا شديدا للعلم بالرغم من جهلهن باتساع نطاقه ، وهن يعتقدن أن الذي يعرف جغرافيــة البلاد نابغة ولقصة الابن المسرف التي في الانجيل وللمزمار الحادي والخمسين تأثير شديد على النفس المسلمة .

وقالت مبشرة أخرى : ان مدرسة البنات البروتستانية في الخرطوم فيها من ٨٠ الى ٩٠ تلميذة مسلمة . ولاهلهن الحرية في السماح لهن بقراءة العهد الجـديد (الانجيل وذيوله) أو في منعهن من ذلك . الا أن المدرسة في هذه السنة لم يرد عليها طلب استثناء واحدة من التلميذات من قراءة الانجيل .

وانتقل المؤتمر بعد ذلك الى موضوع تربية النساء اللائي يتطوعن للتبشير .

المتنصرون والمرتدون :

تساءل القسيس (جون فان ايس) عن الاركان التي يشترط توفرها في الشخص المتنصر . أو النصراني الشرقي الذي يدخل في المذهب البروتستاني . وبعد أن بحث في ذلك قال ان (المحبة) التي يعرفها نصارى الشرق تشوبها نزعة الاعتقاد بالقضاء والقدر وعقيدة الشرقيين عموما ضرب من الخرافات وان تكن مبادئ الايمان موجودة لديهم جميعا . ثم تساءل عما اذا كان المسلم المتنصر أهلا لنشر النصرانية؟ وأجاب على ذلك بأن هـذا الامر هو محك اخلاصه لان نشر الدعوة أمر تقتضيه روح الاسلام وبهذا كان الاسلام دين دعوة وتبشير ، وكنت اتمنى لو انتفعنا بهذه المزية وأدخلناها في النصرانية .

وتناقش المؤتمر بعد ذلك بشأن المتنصرين المضطهدين ووسائل استخدام المخلصين منهم وادخال الاطفال الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني في المدارس العادية والصناعية .

شروط التعميد :

بسط القسيس (جسب) القول في هـذا البحث وسأل عن الشروط التي

يجب ان تتوفر في المسلم المتنصر ليكون أهلا للتعميد . ثم قال ان المبشرين الكاثوليك يعمدون الناس ليجعلوهم مسيحيين أما نحن فنعمدهم لانهم مسيحيون

وذكر بعد ذلك أيام التجربة والمعلومات الدينية التي يجب على المتنصر معرفتها وبحث فيما اذا كان يحق له أن يتلقى سر التناول (أي تناول القربان الذي هو جسد المسيح ودمه)

واستطرد المؤتمر الى مسألة تعدد الزوجات عند المسلمين . وتكلم عن موقف المرأة التي تعمد زوجها هل يفرق الاسلام بينها وبينه أم لا. وعما اذا كان يجوز للمتنصر ان يتزوج مرة ثانية . فتقرر أن هذه المسائل عويصة وقد سبق الخوض فيها في مؤتمر (لبث) سنة ١٨٨٨ وأن الظروف تقضي باعتبار المسلم المتنصر وهو ذو زوجات متعددة بأنه تحت التجربة الا اذا كان تنصره في ساعة الاحتضار . أما هذه المسائل نفسها فقد تركت بدون حل

كيف يتقرب المسلمون ؟

خطب القسيس (هاريك) في هذا الموضوع فعرض على المؤتمر نتيجة ابحاثه التي اجراها في بلاد السلطنة العثمانية فمنها أنه عرف أن لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التي وضعها الدكتور (بفندر) المبشر ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية في وجه المبشرين والذين ينتمون اليهم . اما ترجمة الانجيل وكتب التبشير الى اللغة التركية بدون مناقشة ومجادلة فكانت أكثر فائدة وأعم نفعا . وقد تبين انه بمجرد اشتراء المسلمين لهذه الكتب ومطالعتهم لها صارت تتبدد أوهامهم (!) القديمة

ثم قال : ان الجدل والمناظرة يبعدان (المحبة) التي لها وقع كبير على قلوب الاغيار وتأثير عظيم في نشر النصرانية . فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر : لان طريق الاعتقاد غايته دائما هي قلب الانسان

وقال بعد ذلك : يرى بعضهم أن الموازنة بين حياة وأخلاق الامم النصرانية وحياة وأخلاق الامم الاسلامية تنتج دائما رجحان النصرانية على الاسلام ، وأنا أيضا أوافق على رأي هؤلاء ولكن من الوجهة المادية . وفي هذه الايام

نجد جمهورا عظيما من متنوري المسلمين يرغب في المناظرة والجدل. والعثمانيون يشيرون بازدراء الى ما حدث في بلاد الروس النصرانية في السنة الماضية خصوصا في أودسا (يريد اضطهاد نصارى روسيا ليهودها) ويقولون لنا: « هذه هي نصرانيتكم وأنتم الذين كنتم قبل زمن قليل تتهموننا بلا شفقة بأننا أرقنا قليلا من الدماء أثناء اشتغالنا بقمع فتنة . » وعلق القسيس على ذلك بوجوب تحلي حياة المبشر بمبدأ المسيحية قبل أن يعنى بالامور النظرية كيما يظهر للمسلم ان النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستورا سياسيا بل هي الحياة كلها ، وانها تحب العدل والطهر وتمقت الظلم والباطل - نفتح للمسلم مدارسنا ونتلقاه في مستشفياتنا ونعرض عليه محاسن لغتنا ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر ونعلق بأهداب الأمل . اذ المسلم هو الذي امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل .

بهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل الى قلب المسلمين . ولو أن أحدا أظهر لنا شغفا وميلا عظيما الى طرد كل العثمانيين من أوربا ومن وجه الارض كلها يجب أن نجيبه قائلين بل سنتحد ان شاء الله مع العثمانيين وندعوهم بكل اخلاص للاشتراك معنا في اقتباس أنوار النصرانية

موضوعات تبشيرية :

خاض المؤتمر بعد اتمامه الموضوع السابق في موضوعات كثيرة منها كيفية عرض العقيدة النصرانية والمناظرة فيها والوسائل التي يجدر التذرع بها للنشر مبادئها والتحكك بالنفوس الاسلامية والوقوف امام صبغة الاسلام . والصفات التي ينبغي أن يتصف بها مبشر المسلمين بالنصرانية والانجيل

ثم قام القسيس (نورتن) وعرض على المؤتمر هذه النظريات الاولية :

١ - الشعب البسيط يلزمه انجيل بسيط

٢ - الشرق سئم المجادلات الدينية

٣ - الشرق يحتاج الى دين أخلاقي روحي واستنتج من هذه النظريات القواعد الآتية :

١ - يجب أن لا تثير نزاعا مع مسلم

٢ - يجب أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادىء النصرانية الاعرضا و بعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت في ذلك المسلم .

٣ - اذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي فيجب أن يزال في الحال ولو أفضى الامر الى المناقشة

أما (لفروا) أسقف مدينة لاهور فيرى أن المبشر الذي يعد نفسه لمجادلة المسلمين في أمور الدين يجب أن تتفوق فيه الصفات الاخلاقية والاستقامة التامة على المزايا العقلية . وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التي يحتج بها وأن يكون صحيح المجادلة وأن يضع الامل بالفوز على خصمه نصب عينيه و يحاول حمل خصمه على الخضوع للحقيقة .

وهذا الاسقف يستنكر قسوة التعاليم القديمة ويرى أنها كانت ترمي الى التغلب على العدو لا الى اكتساب مودته . ثم قال ويظهر لي أن كثيرا من اخواننا المبشرين يريدون أن يبشروا الناس برشقهم بالحجارة لا بعرض الحقيقة عليهم . نعم ان هذه الطريقة قد تفيد ولكني أشك في موافقتها للتبشير و بما ينتج عنها من الحالات النفسية

وختم كلامه قائلا : يجب على المبشر أن يتدرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكما على عواطفه الى الغاية القصوى . وأن لا يخالج نفسه أقل ريب في أنه هو الذي سيفوز

وهذا كان آخر مناقشات المؤتمر ثم قام القسيس (زويمر) رئيس المؤتمر وقال:

« ان انعقاد هذا المؤتمر كان بالتقريب نتيجة لاعمال (شبان التبشير المتطوعين) . أما البحث في أحوال العالم الاسلامي وتبشيره بالنصرانية فقد سبق الخوض فيه في مؤتمر (كلفلند) . وهذه الخريطة التي نراها أمامنا الآن موسومة باسم (خريطة تنصير العالم الاسلامي في هذا العصر) قد بعثت الامل في قلوب ألوف من الطلبة في مؤتمر (ناشفيل) الذي انعقد في شهر فبراير الماضي والتبشير متوقف على

وجود زمرة من المبشرين المتطوعين الذين يقفون حياتهم و يضحونها في هذا السبيل » ثم ختم كلامه راجيا أن يكون لندائه صدى في المدارس الجامعة في أوربة وأميركة

٤

﴿ العالم الاسلامي اليوم ﴾

هذا عنوان كتاب نشره القس (زويمر) رئيس ارسالية التبشير في البحرين بمؤازرة زملائه ـ جمعوا فيه تقارير ومباحث تاريخيه واجتماعية كتبها المبشرون عن حال المسلمين القاطنين في مناطقهم التبشيرية . وتناولهذه التقارير خلاصة عن اعمال المبشرين التي قاموا بها في الاصقاع المختلفة وما نتج عنها من انتشار الدين المسيحي .

وقد أنشأ جامعوهذا الكتاب مقدمة له ألحوا فيها بضرورة تنصيرالمسلمين الذين أهمل المبشرون أمرهم . وهذه الفكرة قدتوسم بهاأحدوا امبراطورأهم امبراطورية أوربية في خطاب القاه على بعض المبشرين (يريدامبراطور المانية) فكانت تشف عن الحكم على الاسلام من الوجهة الاخلاقية عامة والدينية خاصة . أما هذه الفكرة فهي أنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الاسلامي الذي اقتحم قارتي آسية وأفريقية الواسعتين و بث في مئتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية فأصبحوا كالانقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات وانحطاط المرأة (! ؟)

تلك هي الفكرة التي أشار اليها ناشرو الكتاب في المقدمة وأردفوها بقولهم: ان الكنيسة المسيحية ارتكبت خطأ كبيراً بتركها المسلمين وشأنهم اذ ظهر لها ان

أهمية الاسلام في الدرجة الثانوية بالنسبة الى ثمانمئة مليون وثني ـ رأت أن تشتغل بهم ـ رأت هـذا وهي لم تعرف عظمة الاسلام وحقيقة قوته وسرعة نموه الا منذ ثلاثين سنة فقط

على أن أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن في ممالك الاسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر . وان في العالم ١٤٠،٠٠٠،٠٠٠ مسلم يرتقبون الخلاص (؟!)

وفي هذه المقدمة بعض ملاحظات ونصائح المبشرين منها :

١ ـ يجب اقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

٢ ـ يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لانه أهم عمل مسيحي . على انه قد تم جزء من هـذه المهمة بعد أن طبع في بيروت ٤٦ مليون صفحة من الكتاب المقدس .

٣ ـ يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها احد اعضائها (؟)

٤ ـ ينبغي للمبشرين ان لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق ان المسلمين قـد نمى في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوربيين وتحرير النساء وان تنصير أمثال (كامل) في بيروت و (عماد الدين) في الهند و (ميرزا ابراهيم) في تبريز وأعمالا اخرى من هـذا القبيل من شأنها ان تولد لنا مجهودات جديدة يجب علينا ان نحمد بسببها نعمة الله علينا .

الاسلام في مصر :

هـذا الفصل من كتاب (العالم الاسـلامي اليوم) يتضمن ملخص أعمال المبشرين البروتستان في مصر والوسائل التي يتذرعون بها والنتيجة التي توصلوا اليها .

وأهم معاهد التبشير في مصر هو الذي اسسته (جمعية اتحاد مبشري اميركة الشمالية) سـنة ١٨٥٤ وكان المبشرون قد وضعوا نصب اعينهم تبشير المسلم واليهودي والنصراني . وقد استطاعوا أن يتحككوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم

ومدارسهم . فنشروا منذ ٣٥ سنة كتاب (شهادة القرآن) ووزعوا بعض نسخ من كتاب (الـكندي) وكتاب (ميزان الحق) المطبوعين في انكلترة .

ووضعوا في الايام الاخيرة كتاب (الهداية) وهو في أربعة أجزاء ألف في الرد على الذين طعنوا في النصرانية .

والمحاضرات العامة التي يقيمها المبشرون مرتين من كل أسبوع للموازنة والمناظرة بين الاسلام والنصرانية يحضرها عدد عظيم من المسلمين ويسمح لهم بأن يتكلموا .

وفي مدارس المبشرين في القطر المصري ٣٠٠٠ طالب مسلم وخمس هؤلاء من البنات المسلمات .

وكانت نتيجة هـذه المجهودات منذ بداية التبشير الى أيامنا هذه أن تنصر مئة وخمسون مسلما وأهم ما وقع من ذلك سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فقد تنصر في الاولى ١٤ شخصاً وفي الثانية ١٢

وفي سنة ١٨٨٢ تأسس في مصر معهد علمي للتبشير تابع لجمعية (تبشير الـكنيسة) وله أربعة فروع الاول قسم طبي والثاني مدرسة للصبيان والثالث مدرسة للبنات والرابع لنشر الانجيل . وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة بهم .

والنتيجة الاولى لمساعي هؤلاء هي تنصير قليل من الشبان والفتيات . والثانية تعويد كل طبقات المسلمين أن يقتبسوا بالتدريج الافكار المسيحية

و بعد المعهدين السابق ذكرهما تأتي (جمعية تبشير شمال افريقية) وهذه الجمعية أسست معهداً في مصر سنة ١٨٩٢ وأهم وظائفها تنصير المسلمين . ولهذه الجمعية ثلاثة وكلاء في الاسكندرية واثنان في شبين الـكوم . وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الانجيل بوجه خاص . وأن تزور المبشرات منازل المسلمين وتجتمع بسيداتهم . وأن توزع المؤلفات والـكتب التبشيرية على المسلمين . وأن تلقى محاضرات دينية لدرس الانجيل في أيام الاسبوع . وأن تقام الصلاة . وهذا المعهد قد نجح في تنصير خمسة أشخاص

وفي سنة ١٨٩٨ تأسست (الجمعية العامة لتبشير مصر) وغايتها تنصير المسلمين أيضا ولها معاهد في الدلتا والسويس وتدير مدارس للصبيان والبنات وتبث فيهم مبادىء النصرانية ولها خزائن كتب تحوي كتبا عربية ذات علاقة بالاسلام ولها مجلة شهرية منتشرة جدًّا وخاصة بالمسلمين . وفي كل يوم سبت يطوف المبشرون للتفتيش

وأقل ارساليات التبشير أهمية في القطر المصري الارسالية الهولندية التي توطنت في قليوب . وفي مدارسها المتعددة تلاميذ من كل المذاهب . وهي تنشر الانجيل في القرى بواسطة بائعي الكتب . ومن أعمالها أنها أنشأت ملجأ للايتام . وعنايتها متوزعة بين الاولاد المسلمين والنصارى على السواء .

أما العقبة الوحيدة التي تقف في سبيل ارساليات التبشير فهي أنه ليس لديها قوة تزيل الضرر الذي يلحقها من مقاطعة المسلمين للمتنصرين وعدم اصغائهم لهم ...

الاسلام والارساليات الهند

من الذين ألفوا في هذا الموضوع المستر (م . وهري) فانه تكلم عن حالة التبشير في شمال الهند . وعن انتشار الاسلام ووسائط نشره وأشار الى دراونش جمعية (انجمن اسلام) وذكر التقدم الفكري والاجتماعي الذي حدث في هذه الجهات وأن الاسلام عرقل سير هذه الميول .

ثم لخص هذا المبشر تاريخ التبشير في الهند فقال انه ابتدأ منذ مئة سنة عندما نال (جيزوم كزافيه) اليسوعي اذنا بالتبشير في لاهور فتح باب الجدال في مسائل التوحيد والتثليث وألوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة . فتسبب عن ذلك قيام (أحمد ابن زين العابدين) وتأليفه كتاب (الانوار الالهية في دحض خطإ المسيحية)

الا أن المبشر البروتستاني الذي يتكلم في تاريخ التبشير في الهند لم ترق له الاعمال التي قام بها المبشرون الكاثوليك وقال ان دفاعهم عن عقيدة عبادة العذراء والآثار (ذخائر القديسين « اي بقايا عظامهم ») والصور وعن الاماكن المقدسة كان من شأنه اظهار النصرانية بغير مظهرها الحقيقي

ثم جاء المبشر هنري مارتين فوضع أساساً قوياً للتبشير بالانجيل فترجمه الى الفارسية والاوردية

ثم جاء بعده « بفندر » فترجم كتابه (ميزان الحق) من الفارسية الى الأوردية وزاد عليه ترجمة كتاب (طريق الحياة) و (مفتاح الاسرار) وبهذا أثار « بفندر » مجادلات شديدة مع علماء الاسلام في دهلي ، واكرا ، واسكنهو ، وزلزل بذلك ايمان كثير من المسلمين وان يكن الذين تنصروا منهم قليلا عددهم (!) وأعان المبشرين في هذه المجادلات المسلمون المتنصرون مثل السيد مولوي صفدر علي ومولوي عماد الدين وسيد عبدالله حاتم ومنشي محمد حنيف والدكتور بيرقدارخان

وفي شمال الهند الآن مالايقل عن ١٢ جمعية تبشير بين انكليزية وأميركية وأوسترالية وكلها ترمي الى غاية واحدة

واجتهدت هذه الجميات بتنصير المسلمين منذ وطئت البلاد ، ويتبين من تقارير هذه الارساليات ان من المسلمين المتنصرين من وصل الى درجة المبشر ، وقد اختصت هذه الجميات المسلمين بكتب يطالعونها وهي معروضة لهم في مكتبات التبشير

وقد اشتد انتباه المبشرين الى مكافحة الاسلام في الايام الاخيرة فنمت فيهم فكرة الاختصاص بتبشير المسلمين على إثر كتابات الدكتور (مردونش) وبادرت جميات متعددة الى ارسال مبشرين اخصائيين لهذا الغرض .

أما عدد المسلمين المتنصرين فلا تمكن معرفته من الاعتماد على الاحصائيات ولكننا عثرنا في تقارير سنة ١٩٠٤ على أسماء اسلامية صار أصحابها قسيسين مبشرين ، وعدد المبشرين الذين هم من هذا القبيل ١٩٤ ويرى القارئ أسماء اسلامية في قوائم أعضاء اللجان الدينية في (بشاور) وغيرها ، وقرأ (المولوي عماد الدين) في « برلمان الاديان » في شيكاغو سنة ١٨٩٣ أسماء خمسين من المسلمين المتنصرين الذين امتازوا باخلاصهم للتبشير .

أما ثمرة التبشير في أواسط الهند فهي اضعف بكثير من ثمرة التبشير في شمال

الهند بالرغم من اجتهاد « تبشير الكنيسة » التي في مدراس وحيدر آباد و بالرغم من تفاني ارسالية (تبشير الكنيسة) التي تبشر النساء وكل المتنصرين في أواسط الهند عدد قليل في جهتين أو ثلاث ، وفوق ذلك فانه يكثر في هذه الجهات ارتداد النصارى الى الاسلام لاسباب مالية ومصالح شخصية ، وجمعية (انجمن اسلام) تنجح دائما بما لها من النشاط في حمل عدد كبير من الهندوس والمسيحيين على اعتناق الاسلام

ومؤتمر المبشرين الذي عقد في القاهرة لم يفته البحث في حركة الاصلاح التي دخلت في مسلمي الهند والاشارة الى (السير سيد احمد خان) زعيم تلك النهضة وما تبذله مدرسته الاسلامية في عليكده ومؤتمر التربية الاسلامية

ولقد خطب القسيس (ويتبرنشت) في مؤتمر القاهرة بموضوع (الاسلام الجديد) فذكر أن تعاليم أوربة تقرب المسلمين من النصرانية ثم قال :

(١) يجب علينا أن ننشيء جسرا فوق الهاوية التي تفصل بين العناصر وللتوصل الى ذلك يجب ان ننتفع من وجود الطلبة المسلمين في انكلترة

(٢) ان يدرس الانجيل على حدة أو على جماعات قليلة العدد

(٣) ان تلقى محاضرات ودروس منظمة بمراقبة رجال ممتازين ، وأن تصرف العناية الى المناقشات

(٤) توسيع نطاق المطبوعات بالاوردية مثل مجلة (ترقي) وان يترجم تاريخ التوراة للدكتور بلاك وان يتذرع لترويج ذلك بنشر الجرائد والكتب الانكليزية التي يأنس بها المسلمون

اخبار العالم الاسلامي

﴿ حقيقة اخبار عن تونس لشاهد عيان ﴾

في أواخر شهر اكتوبر من العام الماضي وزعت « البلدية » على جدران الطرق العامة أوراقا تستدعي بها الناس الى الاجتماع بمقبرة الزلاج في اليوم السابع من نوفمبر لتعيين قبور أهليهم لعزم « البلدية » على تسجيل المقبرة واعتبارها من يوم

التسجيل حقا من الحقوق الدولية تتصرف فيها كيف شاءت وقد كان لهذا الاعلان أسوأ تأثير في القلوب لان مقبرة الزلاج وقف من الاوقاف العامة وقفها الشيخ الزلاج (اثابه الله تعالى) على موتى المسلمين منذ اكثر من ثمانمئة عام وقد ضمت من أجساد العلماء والاشراف وأهل الفضل والخير وأصحاب المكانة الحقيقية في القلوب مالايأتي على احصائه الا الله تعالى وحسبك أن فيها مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي معتقد العامة والخاصة منهم ومقام الشيخ محمد بن عرفة المالكي الشهير وغيرهما من أولي العظمة والاعتبار فيهم، ولن يرضى أحد ان تخرج عظامهم من ديارها لتتخذ بساتين يتنزه بها الاوربيون الذين لايسمحون بشبر من مقابرهم لمثل ذلك

ساء الناس ماعزمت عليه « البلدية » فاتفق اكثرهم على الاجتماع بالمقبرة في ٧ نوفمبر لمنع البلدية من اجراء أعمال التسجيل وكان مااتفقوا عليه .

اجتمعوا بالمقبرة قبل ظهور حاجب الشمس فجاء شيخ المدينة « رئيس البلدية» والمهندسون فراعهم ذلك المنظر المهيب . فسألهم شيخ المدينة عن سبب اجتماعهم فذكروا انه « السبب » الاعلانات الملقة على الجدران - فرأى على غير طائل - ان يفرقهم بقوله : فسخت الدولة العزم على ذلك فانصرفوا الى بيوتكم ، ثم أمر من حضر من أعوان المحافظة ان يغلقوا باب المقبرة في وجوههم ويردوهم عنها بعد ان دخلها هو والمهندسون ،

فسخر الناس من قوله هذا المضحك وردوا اعوان المحافظة بقوة دفاعا عن موتاهم وغيرة على وقفهم ، و بيناهم كذلك اذا أطلق طلياني مسدسه على رجل مسلم وفرّ هاربا فلحقوا به وأخرجوه من البيت الذي التجأ اليه وذبحوه بأيديهم وخرجوا من طور الدفاع السلمي عن الموتى الى الدفاع الحربي عن الاحياء وثارت الفتنة في البلد وكثر الهرج في الطائفتين الاسلامية والصليبية ولم تقدر الحكومة ان تشرع في اعادة الراحة الا بعد يومين وهذا ماعملته لذلك :

(١) عهدت الى الخطباء ان ينصحوا للناس باحترام الدماء ويذكروهم بما كتب الله عليهم من حق المخالف بالدين - لانهم يعتقدون ان المسألة بنت التعصب الاسلامي الذي حركته « طرابلس » لا بنت مدافعة العادين ورد هجمات المحاربين

(٢) علقت الاعلانات الرسمية بمنع اجتماع اكثر من ثلاثة اشخاص في الطريق العام ، ومنع الجولان فيه بعد الساعة ال ٩ مساء - وهذا الحجر كان على المسلم خاصة لانه العادي عندهم - ثم اخذت تختطف الناس من الطرق والفنادق وتزج بهم في السجن ، فكم من غريب اخذ من فراشه في الفندق؟ وكم من بريء أخذ من الطريق العام ؟ فانظر ماهو عمل السياسة وأهلها وكيف يجعلون من التهمة الكاذبة ، أنف حجة صادقة ، ثم ماذا كان عمل الحكومة بعد ؟

كان أن أوعزت الى شيخ الاسلام ان يجمع العلماء الرسميين في دار الباي و يعترفوا بقبح هذا الدفاع الواجب وكذلك فعلوا وفعل

دعاهم الى الاجتماع وأكد فيه تأكيدا ولكنهم لم يعلموا الغرض منه الا عند الاجتماع ، دخل بهم على الوزير الاكبر وهو يقول : ان أهل العلم لايرضون بهذا العمل الذي ينكره الشرع والعقل ، وهم يريدون ان تعلم الحكومة ذلك منهم ، ثم سأل « شيخ الاسلام » الوزير الاكبر ان يرخص لهم السفير في زيارته فأجيب الى ذلك ولكن السفير خاطبه بقوله : يجب ان تسكن أمياليكم « يعني المسلمين » القلوب ولا تخرج الى الطريق - هذا بعد ماسمع من شيخ الاسلام - حاسبه الله - مثل ماقاله الوزير ولم يقدر الشيخ ان يبين له ان المسألة لاعلاقة لها بمسألة طرابلس وأنها بنت الدفاع عن النفس وليس هي بالدفاع عن الجامعة الاسلامية

أرادت الحكومة من هذا ان تفعل ماتشاء باسم الدين - الذي لاتزال سيادته الحقيقية والصورية على جميع القلوب - ولكن العامة على جهلهم ورسوخ اعتقادهم في أهل العلم كانوا يلعنونهم سرا وجهرا و يعرفون انهم خانوا الله ورسوله والمؤمنين. فعلقت الاعلانات الرسمية في اليوم نفسه تعلم بتفويض سمو الباي الى الادارة الحربية الامر في تفتيش بيوت من تقع عليه التهمة والحكم عليه وفي نزع السلاح من اصحابه الخ وتبع ذلك جرأة الطليان على قتل المسلمين ولم توفق الحكومة الى نزع السلاح منهم الا اخيرا خشية الفتنة في البلاد

كانت الصحف تدافع عن المسلمين بعض الدفاع وتنجي من الحق ما تريد السياسة ان تقتله عمدا ولكن الحكومة اصدرت قرارا بتعطيل جميع الصحف

العربية « الا الزهرة الاخبارية » الى اجل غير مسمى

هذا ما جرى في تونس - أيها الفاضل مما سمعته ورأيته اثناء وجودي بها - وهو مما يدعو الى تأليف كتاب خاص تشرح به اعمال الحكومة الصادرة عن سياستها السوءى واستبدادها الفظيع واستخدامها في سبيل ذلك لشيوخ العلم الذين هم اجدر الناس بالدفاع عن الامة والسعي للتوفيق بينها و بين الحكومة وكف بأسها عنهم ولكنا منينا برؤساء جهال منافقين جبناء هم الواحد منهم ان يملأ كيسه و بطنه ويحفظ على نفسه مذهبها ولا يبالي بما وازر الظالمين على الضعفاء الابرياء الذين لا ذنب لهم الا الدفاع عن أنفسهم ، ولكن اين الذي يخاف الله ويحسب للقائه حسابا من هؤلاء الجامدين ؟ و بعد فقد اتفق ان شرعت في كتابة هذا ثم حالت الشواغل دون اتمامه حتى كان ما كان ما ساقصه عليك وانا لا ازال في تونس :

مقاطعة مراكب الكهربائية وسببها

ذلك ان سائقي المراكب الكهربائية « واكثرهم من الطليان » اسرفوا في المدة الاخيرة في الاستهانة بالنفوس عمدا فكثر عدوانهم على الضعفاء - من قائلي لا اله الا الله محمد رسول الله - فعمدت ثلة من اصحاب الآراء الراقية لتنبيه الناس الى مقاطعة هذا المركب العادية حتى ترجع الى الاعتدال وتكف عن البغي والعدوان فاجتمعت كلمة الامة على هذا ولم تمض الا ايام قلائل حتى ساد هذا الرأي على المسلم والمسلمة ، ثم تقدم افراد من القائمين بهذه الحركة الى رئيس الشركة بمطالب الاهالي التي يعلقون على تنجيزها العود الى ما كانوا عليه، واهمها التسوية في اجور الخدمة بين المسلمين والايطاليين واحترام الارواح واخراج الخدمة الايطاليين « وهذا مما لا يمكن » فقبلهم مدير الشركة شر قبول وصرح لهم ان الشركة لا تجيب المسلمين الا الى اكثر من وصية السائقين باحترام الضعفاء وتعليق الواح مكتوبة بالعربية في مراكز الوقوف يرسم عليها ما يرسم بالفرنسية على نظائرها (كما هي الحال في مصر) وأما تسوية الاجور فهو موقوف على تسوية الدولة بين الاهلي والاجنبي فمتى سوت الدولة بينهما سوت الشركة ، فرجع هؤلاء الافراد بخفي حنين واستمرت المقاطعة فبال الدولة امرها ورأت انها أمارة حياة يخشى على الحكم المطلق من آثارها

فدعت نحوا من اربعين رجلا من اهل العلم والتجارة وسائر الطبقات المعتبرة وخاطبتهم بلسان وزير القلم في حث الناس على ترك هذه المقاطعة واعلمتهم بتداخلها مع الشركة وتحصلها منها على كذا وكذا - مما علموه من مدير الشركة يوم اجتمع به اوائك الافراد لقصد انهاء المسألة بصفة مرضية - فقام المحاميان الغيوران محمد نعمان وعلي باش حانبه صاحبا جريدتي التونسي العربية والفرنسية يبينان ان الحكومة لم تفدشيئا في الموضوع وان مسألة تسوية الاجور من اهم مطالبهم واهمها ولاترضى الامة أن تترك المقاطعة بدونها وطال النزاع بين الحق والباطل ثم افترق الفريقان على غيرطائل

اعادت الحكومة دعوتهم في اليوم الذي تلى يومهم ذلك وصرحت لهم ان المسألة صبغت بلون دولي وان المقاطعة في نظر الدولة « اليوم » لدولة لا لشركة وان القائمين بهذه الحركة ان لم ينفثوا في هذه العقدة فينالهم العقاب ودافع علي باشحانبه ومحمد نعمان بما رأيا من الحق والله ولي جزائهما

انبث دعاة الدلة في البلاد « بعد هذا الاجتماع » يدعون الناس الى الركوب في الترماي فلم يكد يستجيب لهم الا الشيخ جمال الدين وقليل ممن لا يعرفون، على ان الشيخ جمال الدين من الذين لا يرجون من الدولة شيئا بل ولا يخشى على شيء مما في يده منها لو اتبع الجماعة - ثم لم يكد يمضي على الاجتماع الثاني ٤٨ ساعة - وهو الاجل الذي ضربته الحكومة لانهاء المقاطعة - حتى صدر امر الباي « ونفذ » بابعاد ستة اشخاص عن الحاضرة منهم الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ومحمد الشاذلي درغوث وعلي باشحانبه ومحمد نعمان - الاول والاخيران الى ما وراء حدود فرنسة والثاني الى قصر مونين ، ولقد كان من اعجب ما سمعت ورايت في ذلك اليوم ان شيخ من شيوخ التدريس بجامع الزيتونة كلفته الدولة ان يوصي المدرسين والتلاميذ بالعمل بما تحب الدولة في مسألة المقاطعة من الركوب والدعوة اليه ، فاخذ يحث على ذلك باخلاص واجتهاد ، مع انه معروف من اهل الاصلاح وليس هو من اهل الفساد - ولعل صفته الرسمية هي التي الجأته الى ذلك - ابعدت الدولة هؤلاء الستة المتهمين بتنبيه القلوب طمعا في تمزيق الكلمة فكان القوم في المقاطعة بعد الابعاد اشد منهم قبله ولا تزال مستمرة الى اليوم بعد ان توسلت

الحكومة الى حالها بكل سبب فلم تنجح - كلفت اكثر الخدمة الاداريين ان يركبوا فركبوا بضع مرات فلم يقتد بهم احد - كلفت شيوخ الاضرحة ان يركبوا ويحثوا الناس على الركوب فلم يفيدوها شيئا في الموضوع ، ومن اغرب ما اقصه عليك ان الشيخ جمال الدين - شيخ ضريح الفزاني دفع المال من جيبه لتلاميذ زاويته ليركبوا فخرجوا من عنده واشتروا بما اخذوا منه الخضر وتركوه ودعوته　　ابن الحقيقة

***

﴿ نظام التعليم الجديد في تركستان ﴾

قرارات الحكومة الروسية في شؤون مسلمي تركستان العلمية

أرسلت ادارة ولاية يدي صو « في تركستان » الى رئيس شرطة (محافظ) آلماطا أوامر على هذه الصورة :

(١) اجمعوا معلوماتكم في شؤون المكاتب الجديدة الاصول (١) للمسلمين وفي معلميها وكتب التدريس فيها . وليكن تاريخ طبع تلك الكتب مبينا وكذلك محل طبعها

(٢) وماذا يوجد للمسلمين من الجمعيات الخيرية وجمعيات نشر المعارف والتعاون؟ ومن الاعضاء والرؤساء فيها ؟ وما وظيفة تلك الجميات وعلى أي طريق تسير ؟

(٣) في أي المحلات تباع الكتب الاسلامية ؟ مع بيان شخصيات وخطة أولئك المسلمين الذين اخذوا الرخصة لبيع الكتب في الشوارع والمجتمعات

بناء على هذه الاوامر الصادرة في ١٨ فبراير سنة ١٩١٢ أمر رئيس الشرطة (المحافظ) معاونيه والشرطة بسرعة جمع المعلومات الصحيحة المفصلة بهذا الخصوص

وفي ١٩ فبراير أرسل الوالي الحربي في (يدي صو) أوامر وتعليمات الى جميع المتصرفين والمحافظ (آلماطا) المار ذكره وهذه صورتها

في اجتماعات المتصرفين المنعقدة في يناير كنت بينت طرق المعاملة التي يجب سلوكها في شؤون المسلمين ولا سيما في مكاتبهم ، والآن أرسل بهذه الورقة بعض

(١) يوجد عند مسلمي روسية مدارس تعلم على النظامات (الاصول) القديمة ومدارس تعلم على النظامات (الاصول) الجديدة وهذه النظامات هي من وضع مؤسسي تلك المدارس الاهلية

تعليمات جديدة توافق ما نشر حديثا من طرف والي تركستان الى مأموري المعارف في أمر مكاتب المسلمين . وأطلب تنفيذ هذه الاوامر والسير دائما على هذه القواعد الاساسية

المكاتب الجديدة الاصول

(١) كل مكتب ينشأ من جديد من المكاتب الجديدة الاصول لا يقبل فيه الا أولاد قبيلة واحدة من قبائل تركستان ولا يكون المعلم الا منهم « فلا يجوز تعليم أولاد « صارت ، ودونكان » مثلا من مسلمي تركستان بواسطة معلم من التتر « والباشقرد »

(٢) يجب على الاشخاص أو الجماعات الذين يريدون افتتاح مكتب جديد من هذا القبيل تعليم اللغة الروسية في مكتبهم المراد افتتاحه

(٣) وكذلك يجب عليهم ان يقدموا الى الحكومة جدول دروس (بروغرام) مكتبهم بالتفصيل وأسماء الكتب التي تدرس فيه .

(٤) والتي أنشئت قبل الآن من المكاتب الجديدة الاصول تكون تابعة لهذه القوانين .

المكاتب القديمة الاصول

(١) المكاتب القديمة الاصول تعد من الآن تابعة لنظارة مأموري المكاتب (١)

(٢) ولا يؤذن مطلقا بدراسة الكتب الجديدة فيها ولا بادخال بروجرام المكاتب الجديدة الاصول اليها . واذا كانوا يريدون توسيع معلومات أولادهم الخيار في تسليمهم الى مكاتب الحكومة الرسمية أو على الاقل الى المكاتب الخصوصية التي هي تحت نظارة الحكومة

(٣) في المكاتب القديمة يجب أيضا أن يكون المعلمون والتلاميذ من قبيلة واحدة وأما المعلمون المنتمون الى قبائل أخرى غير قبائل الاولاد فيتركون من الآن هذه المكاتب والتعليم فيها لغيرهم

القوانين العمومية . — ١) تصير هذه القوانين معمولا بها في أول يوليو سنة ١٩١٢ ، وأي مكتب من المكاتب الاسلامية لم ينفذ القوانين المذكورة تماما

(١) مأمورو المكاتب هم مفتشو المعارف

الى تلك المدة فانه يقفل ذلك المكتب . ٢) يمنع حتما دوام المكاتب الاسلامية السرية ، ومن ضمنها جميع المكاتب غير المصدق عليها من طرف الحكومة جريدة (وقت) عدد ٩٤٧ الصادرة أول ابريل سنة ١٩١٢

***

﴿ مدرسة البنات[1] ﴾

« للسيدة (لآبيطوا) بمدينة قزان »

كانت « فاتحه » خانم كريمة المرحوم عبدالوالي ياو يشف من كبار الاغنياء وقرينة سليمان آبيطف من أعيان قزان قد أسست مدرسة للبنات في قزان وقامت بشؤونها منذ سنين تنفق عليها من أموالها الخصوصية . وفي هذه السنة كان عدد تلميذات هذه المدرسة كما في السنين السابقة زهاء ١٨٠ تلميذة يتعلمن على عدة معلمات ومديرتها فاتحه خانم نفسها . وهي مدرسة منتظمة متوفرة فيها أسباب التعليم وبرنامج دروسها موافق لأحوال الزمان فهي لذلك جديرة اليوم بأن تعد من أحسن مدارس البنات بمدينة قزان . تلميذات الصفوف العالية فيها يتعلمن الأشغال اليدوية المتنوعة كالخياطة على يد معلمة خصيصة لذلك .

عقائل أعيان وأغنياء قزان يعلمن كل يوم جمعة من كل اسبوع مناوبة معلمات هذه المدرسة وتلميذات الصفوف العالية فيها اللاتي يستعددن لصناعة التعليم ـ دروس الطبخ درسا عمليا في مطبخ المدرسة . وأما السيدات اللاتي يتناوبن الآن التعليم في الجمع فهن هؤلاء : كريمة المرحوم اسحق يونوسف من سراة قزان وقرينة كازاكوف افندي ورابعة خانم قرينة المرحوم حسام الدين كاستروف من الاغنياء المشهورين في بلدة « خان كرمان » وقرينة آپانايف ، وكريمة « قل احمدف » الشهير ـ أمينة خانم قرينة كشايف ، وكريمة آغانورف

(١) اطلعنا على ما كتبته أمينة شمس الدينوا من معلمات مسلمي مدينة قزان في جريدة (وقت) عدد (٩٤٨) عن هذه المدرسة ومعلماتها فآثرنا تعريبه عنها

الشهير من أغنياء مدينة يكاترينبورغ صوفية خانم قرينة عليف ، وكريمة المرحوم مصطفى كيلديشف من كبار أغنياء « جيسطاي » قرينة ايمانقولف . وهؤلاء السيدات وان كن قد التزمن هذه الخدمات في المدرسة المذكورة رعاية لالتماس مؤسسة المدرسة فاتحة خانم آيطو ولم يصدهن عن ذلك الجاه والغنى ولكنه يدل على شعورهن الديني وصدق غيرتهن الملية ولذلك كن جديرات بأن يمدحن وينوه بذكرهن على كل حال

وهذه الحال في المدرسة هي أيضا أمر مهم يحق الاعتبار به فان اشتغال هؤلاء السيدات المحترمات ساعات عديدة في مطبخ المدرسة بتعليم التلميذات مع نية حسنة وهي الخدمة للأمة من غير اغترار بغناهن لهي صفة حقيقة بالذكر والاعتبار .

وأما التزين بالحلي والاحجار الكريمة والألبسة الفاخرة والحضور في المجالس فليس فيه شيء يوجب المدح وحسن الذكر . ونرجو أن يكن هؤلاء السيدات نموذجا للسيدات الأخريات وسببا في ازدياد الخدم الصالحة للامة

ولما رأينا هذه المدرسة بأعيننا وعرفنا الأحوال فيها أحسسنا بوجوب الشكر لهن علينا فأردنا أن ننشر شكرنا العلني في جريدة « وقت » لمؤسسة المدرسة ومديرتها فاتحه خانم وللخوانم الأخريات المشار اليهن . ونسأل الله أن يزيد من أمثالهن يوما فيوما . أمينة شمس الدينوا . قزان

المطبوعات الجديدة (*)

﴿ كتاب البنين ﴾

كتبت في الجزء الماضي مقالا على هذا الكتاب وكنت عازمًا على تتيمه وبيان فوائده وانتقاده ولكن منعتني كثرة الشغل عن انجاز ما وعدت به وارى ان مطالعته مفيدة جدًا للذين يفكرون في شؤون الأمة الاجتماعية وكذلك لآباء وابناء البيوت (العائلات) ولي كلمة في التعريب أقولها وهي

(*) ما يكتب في هذا الباب بهذا الجزء هو من قلم السيد صالح مخلص رضا أيضا

ان هذه الكتب وما يماثلها مماينقل الى لغتنا العربية عن اللغات الأوربية التي هي نتيجة تربية حكيمة وإعمال روية. والتي انما تظهر في الأمة بطور مخصوص من اطوار حياتها الاجتماعية - هذه الكتب هي ولاشك مما يساعد على رقي مثلنا بعض الشيء ولكننا الانزال بحاجة شديدة الى نقل الكتب الصناعية ووسائلها من كماوية وطبيعة وما لدينا من الوسائل للوصول الى الثمرة المطلوبة لجعل الامة غنية بنفسها عن غيرها مثل كتاب النقش في الحجر والدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية لا يصلح بأن يكون مجموعة تجعل منوالا تنسج عليه الامة ثوب حياتها المادية لتنضم بين برديه وتصبح امة حية عالمة عاملة غنية بمعارفها وصناعتها

نعم ان ما يكتبه و يعرّبه الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب من الكتب الطبية وكتاب الكيمياء الحديثة الذي ألفه خان بهادر الشيخ عبد القادر بن محمد المكي وكتاب روح الاجتماع وما يماثل ذلك ربما الفت مجموعة تصلح لان تكون برنامجاً للمدارس العربية وتكون بها حجة الذين يطلبون من الحكومة المصرية تعليم جميع العلوم بلغة الامة - ناهضة ، ومن لنا بتأليف جمعية علمية تبحث في هذه المؤلفات وتبين ما يلزم من الزيادة عليها للايفاء بالغرض المطلوب ؟

وما دمنا نقرأ مثل كتاب التربية الاستقلالية أو كتاب البنين وكل ما نستفيده منها هو الاعجاب بآراء المؤلف والثناء على همته ولغة المعرب فما نحن الا نظريون . ولم يرجع بنا القهقرى في علم دار سناه وانتشر بيننا قديما وحديثا الا الاشتغال بالنظريات عن العمليات . هذا كتاب سرنقدم الانكليز نشر باللغة العربية من سنين عديدة فهل غير شيئا من طرق التربية في مدينة أو قرية أو بيت (عائلة) في بلادنا وهو الكتاب الذي حرك العالم وزلزل اركان التربية في فرنسة فأنشأها خلقا جديدا ؟ فهل يكون حظنا من كتاب البنين كحظنا من الكتب السابقة ام ان حوادث الدهر ومزعجات الايام أهابت بنا الى النهوض من هذه الهوة التي نحن بها متدهورون ؟

ثم هل نبقى معتمدين على غيرنا في جميع حاجياتنا أم يلجئنا حب البقاء الى التماس أسبابه بانتهاج منهج الغربيين في الصناعة والزراعة ؟؟

هذا ما أريد أن يتفكر فيه المتفكرون ويكتب فيه الكاتبون ويعرب له الكتب الذين يهمهم أمر بقاء أمتهم وحياتها

هذا وان ثمن كتاب البنين عشرة قروش غير أجرة البريد وهي ١١ مليما في مصر و٢٢ مليما في الخارج ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

* * *

﴿ رباعيات الخيام ﴾

عمر الخيام اشهر من نار على علم وهو من نوابغ شعراء الفرس وقد ترجم علماء أوربة وامبركة شعره وعنوا به عناية كبرى ، فحمل حب ضم التالد الى الطريف وديع افندي البستاني معرب « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » على نقل هذه الرباعيات الى العربية ، فبحث ونقب عن هذه التراجم والشروح واختار منها ترجمة « فتزجرلد » الانكليزية وعربها ونظمها سباعيات بعد أن قابلها بترجمات « هوينفلد » ونيقولاس وغارنر ومكارثي ، وكتب لها مقدمة ضافية ذكر فيها خلاصة ما وقف عليه مما كتب الغربيون في عمر الخيام واهتمامهم بآثاره ، وهذه المقدمة بديعة نفيسة جدا

وعمر الخيام شاعر مفكر ينظم ما يجري في مخيلته من نتائج تأملاته فيصيب الحقيقة تارة ويخطئها تارة أخرى فهو يحاكي ابا العتاهية في تزهده وحكمه وابا نواس في خمرياته ومسلم ابن الوليد في غزلياته والمعري في حكمته وما ينسب اليه من المجازفات، واليك طائفة من هذه الرباعيات أو السباعيات من هذه الانواع

قال في الفاتحة : من النشيد الاول

رب رحماك ما كسبت ثوابا لا ولا كنت مستحقا عقابا
انما قلت ما رأيت صوابا
ووجودي عليّ كان مصابا وعزائي الجليل كان الحبابا
وكفاني التوحيد ذخرا فاني لم أعدد في ديني الاربابا

وقال من النشيد الاول أيضا

بديع الحياة عهد الصباء وحياتي كهذه الصهباء
مرها الحلو فهي طبي ودائي

ويلخ أو نيسبور سأقضي   فدعوني بعض اللبان أقضي
ودعوني أسقى المدام دعوني   قبلما يدهم المشيب الشبابا

وقال من النشيد الاول أيضا

وأجبني وواقني الاعتزال   وابتعاد عن محض قيل وقال
رب قفر من المظالم خال
ليس فيه عبد ولا سلطان   هو عندي المكان نعم المكان
رب كهف تثويه نفس أبي   فاق قصراً طالت ذراه السحابا

وقال منه أيضا :

يا فؤادي حذار حتى النسيما   ان هذا المنثور كان نظيما
فوق غصن واليوم غشى الاديما
كم ورود اثامها الاكام   كخدود لها الحياء لثام
راودتها ريح الشمال وغاثت   بلثام وقبلتها اغتصابا

وقال منه أيضا

هات لي الجام يا نديمي مترع   أمل عما مضى وما يتوقع
حسب قلبي ماسمته وتقطع
واسقني اليوم مذهب الحسرات   لا تكلني لحلم يوم آت
فغدا ربما غدوت طريد الأم   س أطوي الادهار والاحقابا

وقال منه أيضا :

ولاهل اليقين والايمان   ولاهل الشكوك في الاديان
ولاهل الدنيا وأهل الجنان
سيقول الصوت الرهيب ضلالا   قد ضللتم وكنتم جهالا
لاهنا أنتم كسبتم ثوابا   لا وان تكسبوا هناك الثوابا

وقال منه ايضا :

واضطراراً قد جئت هذي الديارا   وسأضطر للرحيل اضطراراً
واختياري ان استطعت اختيارا

ان أسرّي عن الفؤاد الهموما ... في حياة ملأى أسى وغموما
فأدرها سلافة واستقنيها ... نعمةً فالوجود كان مصابا

وقال منه أيضا :

زحل كان موطني اذ رحلت ... بخيالي وفي السماك حللت
وصعابا من مشكلات حللت
واجتليت الغوامض المبهمات ... ولقيت الحقائق السافرات
غير ان الآجال والموت فيها ... ذاك سرّ لم انض عنه نقابا

وقال من النشيد الثاني :

قلت للنفس اين ذاك القضاء ... اين ذاك الجحيم أين السماء
قالت النفس يافتى لامراء
فيّ فيّ الاسرار والاقدار ... فيّ فيّ الجنات فيّ النار
ذا سؤالي وذا جوابك يا نفـ ... ـس وكنت الحيران فيه سؤالا

وقال منه أيضا :

يعلم الله انني سكّير ... ونظيري بين العباد كثير
وهو أمر سهل عليه يسير
يعلم الله يعلم الله فملا ... رب رحماك ليس علمك جهلا
فزقاقي مملوءة ودناني ... وأنا ادمن الخمور امتثالا

وقال منه ايضا :

ايه سفر الحياة آن اختنامك ... ايه خيّام قد تداعت خيامك
وتدانت من حدّها أيامك
وليالي الربيع كن قصارا ... وهزار الشباب غنى وطارا
ياهزار الشباب لوكنت ادري ... منك هذا لسمتك الأغلالا

هذا وأن لغة الكتاب ونظمه من احسن الكتب المعربة، قد طبع في مصر طبعا متقنا نظيفا على ورق جيد وصفحاته ١٤٢ وهو يباع بمكتبة المنار بشارع عبدالعزيز بعشرة قروش صحيحة خلا أجرة البريد

***

﴿ كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ﴾

لدعاة النصرانية في البلاد الاسلامية طرق في بث دعوتهم والفات الناس الى سوم بضاعتهم ، كانت الى سنة ١٩١١ خطة شغب وعداء اكثر مما هي خطة جدل وإقناع يظهر هذا في جرائدهم وكتبهم ولاسيما في البلاد التي قوي فيها النفوذ الاجنبي وكان موقف المسلمين أمام هذا التهجم والشغب والشذوذ والتطرف والمغالطة يختلف باختلاف البلاد ودرجة نفوذ أولئك الدعاة وتأثيرهم في العامة أو الخاصة

فبينا الشيخ رحمة الله الهندي يجادل القوم في الهند بما هي هي أقوم ويدحض سفسطتهم بالادلة العقلية والنقلية اذا بالمسلمين في البلاد المصرية والشامية يهزأون من تلك المجالدة و يضحكون زاعمين أن المسلم لا يمكن أن يكون نصرانيا ، وينقلون كلمة عن حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني « ان المسلم هو نصراني وزيادة » لان اركان دين النصرانية الايمان بالله والملائكة والوحي والدار الآخرة الخ ولكن المسلم يؤمن بهذه الاشياء على وجه أكمل . فالمسلم موحد لله والنصراني مثلث له والمسلم منزه للانبياء والنصراني يخطئهم والمسلم معتقد بجزاء ينال الانسان في الدار الآخرة من حيث هو انسان والنصراني يقول انه في الآخرة يكون « كملائكة الله الذين في السموات » اي ان الانسان يكون ملكا وتفنى جسمانيته في روحانيته الخ . فالدين الاسلامي مطابق للعقل والفطرة والدين المسيحي على العكس من ذلك ؟ تلك حجتهم على سكوتهم وعن تقصيرهم في الدعوة الى دينهم والذود عنه

ولم يفكر مسلم في هذه البلاد أن من خدمة الاسلام أن يدعوا أحد اليه أو أن يدافع عنه غافلين عن قوله تعالى « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » الخ

غلط دعاة النصرانية بحسبانهم المسلمين على وثنية فوضى وظنوا ان من السهل عليهم دعوتهم الى وثنية منظمة منمقة يجللها ثوب الخلاص من خطيئة لم يقترفوها ويزينها لهم مصالحة الله لهم عن خصومة لم يأتوها ــ على قاعدة : الآباء تأكل الحصرم و يضرس البنون ــ ويقابل هذا عند المسلمين و يدحضه قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ــ غلطوا فأوغلوا بسيرهم واوضعوا خلال المسلمين يبغونهم الفتنة

وفيهم سماعون لهم وقوم آخرون شغلتهم أموالهم واهلوهم

ولما عقد مؤتمر القاهرة سنة ١٩١١ (لدعاة النصرانية) بحث في طرق امالة المسلمين عن دينهم على اختلاف طبقاتهم وخط للدعاة خططا جديدة ـ يعلمها من يراجع مقالات « الغارة على العالم الاسلامي » التي تنشر في المنار تباعاً ـ للوصول الى قلب المسلم

كل ذلك يجري من دعاة النصرانية ومثل النبهاني وعبد العزيز شاويش بسودان الصحائف بشتم المسلمين المصلحين تارة و بشتم النصارى تارة اخرى ولهما في بعض البلاد الاسلامية أمثال وانصار من المعممين الذين كان يخاف على الاسلام منهم الاستاذ الامام، ولكن بعض شبان سورية الغيورين المفكرين اهدي ادارة المنار في هذه الآونة كتاباً سماه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » ألفه لرد أباطيل دعاة النصرانية وجعله تقدمة « الى صابئي القرن العشرين المبشرين (!) »

ألف محمد طاهر افندي التنير كتابه هذا من كتب علماء اوربة وقابل فيه بين نصوص ديانات الوثنيين ونصوص ديانة النصارى المشابه بعضها بعضا وعزى في الهامش كل نقل الى محله وذكر في أول الكتاب اسماء الكتب التي نقل عنها لتكون الادلة ملزمة والحجة ناصعة، ونحن نذكر مجمل مواضيعه (١) عقيدة التثليث عند الوثنيين وعند النصارى (٢) تقديم أحد الآلهة فداء عن الخطيئة عند الوثنيين وعند النصارى (٣) الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين عند الوثنيين والظلمة التي حدثت عند موت يسوع عند النصارى (٣) ولادة أحد آلهة الوثنيين من عذراء وولادة يسوع من عذراء كذلك (٤) النجوم التي ظهرت عند ولادة احد آلهة الوثنيين والنجم الذي ظهر عند ولادة يسوع (٥) الجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله عند ولادة احد آلهة الوثنيين والجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله كذلك عند ولادة يسوع (٦) الاستدلال على الطفل الالهي عند الوثنيين وعند النصارى « ٧ » محل ولادة أحد الآلهة عند الوثنيين ومثله عند النصارى الخ ثم مقابلة بين النصوص عند الفريقين، والكتاب يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش وتبلغ صفحاته ١٧٦ ويكاد يكون انفع كتاب في بابه وقد التزم مؤلفه النزاهة في القول والمجادلة بالتي أحسن